تزيين الألفاظ

بتتميم ذيول

تذكرة الحفاظ

تأليف

محمود سعيد ممدوح

دار البشائر الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيّدنا رسول الله، وآله وأصحابه ومن اتبع هداه.

وبعد؛ فهذا جزء فيه تراجم جماعة وصفوا بالحفظ ذيّلت به على ذيلي الحافظين الجليلين جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وتقي الدين ابن فهد المكي.

وخطتي ألّا أذكر أحداً من الذين وصفوا بالحفظ إلا من حافظ مثله أو كان قريباً من هذا الوصف وكان له معرفة بالفن، إذ أن لكل فن رجاله، وقد قال الحافظ السخاوي في الجواهر والدرر (١/٣٧): واعلم أنه ينبغي أن لا يقبل الوصف بذلك (أي الحفظ) إلا من موصوف به، فرُبَّ من يسرد كثيراً من الأنساب والمتون ممن هو قاصر في تخريج الحديث، وتمييز صحيحه من سقيمه، ومعرفة علله مع قصور عبارته، وجمود فهمه، عند من لا تمييز له، فيصفه بذلك ظناً منه أن ذلك بمجرده كاف وهذه غفلة، إنما الحفظ المعرفة، هذا إن حصل الوثوق به فيما يسرده مما لا يعلمه إلا النقّاد فأما إذا لم يكن كذلك فتلك الطامة، انتهى.

لذلك أعرضتُ عن ذكر عدد كبير وُصفوا بهذا الوصف ممن أجلّوهم وأكبروهم أو تساهلوا معهم وذلك لعدم تحقق الصفة في الموصوف وذلك بعد البحث والتتبع والله المستعان.

وقد رتّبتُ التراجمَ ـ التي سلكت فيها طريقتي الإيجاز والإطناب لتناسب الغرض ـ حسب وفيات أصحابها رحمهم الله تعالى، وقدمته بفوائد في فصول وسميته:

«تزيين الألفاظ بتتميم ذيول تذكرة الحفاظ».

واللَّهَ أسأل أن ينفع به ويوفقني للصواب وللمغفرة يوم الحساب.

فصــــــل

١ ــ أول من صنّف كتاباً خاصاً بالحفاظ - فيما أعلم - هو الحافظ أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن الدباغ الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ رحمه الله تعالى.

٢ ــ ثم صنّف الحافظ أبو الفرج عبدالرحمٰن ابن الجوزي الحنبلي الواعظ المتوفى سنة ٥٩٧ هـ رحمه الله تعالى جزءاً ذكر فيه الحفاظ مرتبين على حروف المعجم وقدمهم بمقدمة في الحث على حفظ العلم وهو مطبوع.

٣ ــ ثمَّ جمع الحافظ المجتهد تقي الدين ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ رحمه الله تعالى كتاباً اقتصر فيه على الموصوفين في الأسانيد بالحفظ.

٤ ــ ثم جمع الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي المتوفى سنة ٧٤٤ هـ رحمه الله تعالى كتاباً في الحفاظ وقفت عليه.

٥ ــ وتلاه الحافظ الناقد المؤرخ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ رحمه الله تعالى فصنّف كتاباً حافلاً رتّبه على الطبقات وهو مطبوع ومتداول وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى، وكان الحافظ ابن حجر قد شرع في ترتيبه وأكمله

سِبطه يوسف بن شاهين وسماه «رونق الألفاظ لمعجم الحفاظ» توجد منه نسخة في المكتبة الخالدية وعلى كتاب الذهبي ذيول:

أ ــ ذَيَّلَ على كتاب الذهبي تلميذُه الحافظ الشريف أبو المحاسن محمد بن علي الحسيني الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٧٦٥ هـ رحمه الله تعالى. وخطته فيه تشبه خطة شيخه الذهبي.

ب ــ قال السخاوي في الجواهر (١/٣٧): وذيَّلَ عليه ابنُ حجر في كراسة وفيها ثمانية وعشرون نفساً. اهـ. بتصرف.

جـ ــ وذيَّلَ على كتاب الشريف أبي المحاسن الحسيني الحافظُ تقي الدين محمد بن فهد المكي الشافعي المتوفى سنة ٨٧١ هـ رحمه الله تعالى وسماه: «لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ» وخطته فيه كخطة الذهبي والحسيني، إلا أنه استدرك على الذهبي اثنتي عشرة ترجمة.

د ــ وذيَّلَ على «لحظ الألحاظ» ابنُ حفيد مصنفه العلامة المحدث المؤرخ محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد المكي الشافعي المتوفى سنة ٩٥٤ هـ رحمه الله تعالى سماه «تحفةُ الألفاظِ بتتمةِ ذيل طبقات الحفاظ».

ورتّب الحافظُ نجم الدين بنُ فهد المتوفى سنة ٨٨٥ هـ رحمه الله تعالى رجال تذكرة الحفاظ وذيلي الحسيني وابن فهد على حروف المعجم.

هـ ــ وذيَّلَ أيضاً على الذهبي الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ هـ رحمه الله تعالى. وقد خالف خطةَ من تقدم ـ أعني الذهبي والحسيني وابنَ فهد ـ، فالتراجم فضلاً عن كونها مختصرة فإنه لم يذكر وفيات

الأعلام في سنة وفاة صاحب الترجمة ولم يسند أحاديث من طريق المترجمين، ولكنه استدرك على من تقدمه ثمان تراجم.

وذيولُ الحسيني وابن فهد والسيوطي طبعت في مجلد واحد وعليها تعليقات شيخ الدرس بالدولة العلية العلامة محمد زاهد الكوثري المتوفى سنة ١٣٧١ هـ رحمه الله تعالى. ولمسند مصر شيخ مشايخنا العلامة المحقق السيد أحمد بن محمد رافع الحسيني القاسمي الطهطاوي الحنفي المتوفى سنة ١٣٥٥ هـ رحمه الله تعالى «التنبيه والإيقاظ لما في ذيول تذكرة الحفاظ» نبّه فيه على ما يحتاج لإصلاح أو إيضاح في الذيول الثلاثة والتعليقات عليها وهو مطبوع.

٦ ــ وللحافظ أبي عبدالله محمد بن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ رحمه الله تعالى «بديعة الزمان عن موت الأعيان» وهي نظم للحفاظ في ألف بيت، شرحها في كتاب سماه «التبيان لبديعة الزمان» وقد صححت نسخة من «التبيان» ولعلها قدمت للطبع.

اعتنى ابن ناصر الدين في «التبيان لبديعة الزمان» بتحرير الأنساب واللغات تحريراً ما عليه مزيد، ويستمد بعض مواد الترجمة من كتاب الذهبي، لكنه استدرك على الذهبي تراجم عددتها فبلغت أربعة وعشرين ترجمة أكثرها من كتاب «القند في تاريخ سمرقند» لأبي حفص عمر بن لقمان النسفي المتوفى سنة ٥٣٧ هـ رحمه الله تعالى.

٧ ــ وللعلامة يوسف بن حسن بن عبد الهادي صاحب التصانيف المتوفى سنة ٩٠٩ هـ رحمه الله تعالى «طبقات الحفاظ» ولم أقف عليه.

٨ ــ ثم اختصر الحافظ السيوطي تذكرة الحفاظ وذيله على

التذكرة وسبكهما في كتاب واحد مطبوع هو «طبقات الحفاظ».

٩ ـ ثم بعد فترة من الدهر قلَّ فيها العناية بالحديث وأهله كتب العلامة السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ثم المصري الحنفي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ رحمه الله تعالى جزءاً في الحفاظ.

١٠ ـ وذكر شيخ مشايخنا السيد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني الفاسي المتوفى سنة ١٣٨٢ هـ رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات» من استحق أن يوصف بالحفظ بعد الحافظ ابن حجر وقد أصاب في جماعة، غير أنه ذكر من لا يصل إلى هذه المرتبة وكان له بالحديث مشاركة مع تقدم ومعرفة بفن السيد عبد الحي الكتاني وهو العناية بأسانيد المتأخرين وطرق الاتصال بهم ومعرفة كتب الفهارس والأثبات والمشيخات والمعاجم ونوادر الإجازات وغير ذلك، كالنجم الغيطي والشوكاني، وعابد السندي وأمثالهم ورحم الله الجميع. وذكر مسندين فقط كسقين العاصمي الفاسي وعبد القادر بن خليل وصالح الفُلّاني المدنيين والسيد محمد بن علي السنوسي وأمثالهم من أصحاب الفهارس والأثبات المتداولة التي يعول عليها المسندون، وذَكَرَ أيضاً من توسع في الشيوخ مع كثرة في التصنيف وكان له عناية بالفن لكنه لا يصل إلى هذه المرتبة كيوسف ابن عبد الهادي وابن الديبع وابن همات زاده التركماني، وهؤلاء مروياتهم كثيرة، وكثرة المرويات تعتبر في الحافظ بشرط أن تكون مسموعة له ومرويات المتأخرين أكثرها بالإجازة كما لا يخفى والمقصود منها بقاء سلسلة الإسناد، ورُبَّ شخص لا معرفة له بالحديث تحصَّل على إجازات بالأثبات المتداولة فأمكنه بذلك الوصول لأي كتاب حديثي من طرق متعددة عالية ونازلة وهذا قطعاً لا يدل على معرفة بالحديث.

وذكر السيد عبد الحي الكتاني شخصاً لا وجود له هو المدعو محمد بن سِنة الفلاني(١).

١١ ـ ومن أغرب الكتب التي وقفت عليها في هذا الباب كتاب طبقات الحفاظ المسمى «بعدة اللفاظ» لمسند الشرق السيد سالم بن أحمد آل جُنْدان الحسيني العلوي المولود سنة ١٣٢٤ هـ والمتوفى سنة ١٣٩٥ هـ رحمه الله تعالى والكتاب في سبعة مجلدات. وسبب الإغراب فيه أنه جعل كل من كانت له أدنى عناية بكتب الفهارس والأثبات حافظاً حتى ولو كان فقيهاً بعيداً عن الاشتغال بالحديث وعلومه على طريقة المحدثين. ومن السادة الفقهاء الذين أوردهم في كتابه المذكور وجعلهم من حفاظ الحديث الشيخ عبد الله الشرقاوي والشيخ أحمد النحراوي والشيخ إبراهيم الباجوري والشيخ محمد الفضالي والشيخ عثمان بن حسن الدمياطي وغيرهم، وهو طويل النفس في إيراد أمثال هؤلاء فيسهب جداً. . !!، والله المستعان.

---

(١) صرح بأن ابن سِنة الفلاّني شخص لا وجود له اختلقه الشيخ صالح الفلاني طلباً لعلو السند القاضي عبد الحفيظ الفاسي في كتابه «استنزال السكينة الرحمانية بالتحديث بالأربعين البلدانية» (١/٢٢)، والفاسي أيضاً في معجم شيوخه المطبوع عند ترجمة عبدالله السنوسي، وصرح بذلك أيضاً السيد أحمد بن الصديق الغماري في «مجمع فضلاء البشر من أعيان القرن الثالث عشر»، وفي «المعجم الوجيز للمستجيز» (ص ٧)، ثم أفرد لبيان حال صالح الفلاني واختلاقه لابن سنة جزءاً خاصاً سماه «العتب الإعلاني لمن وثق صالحاً الفلاني» يجزم الواقف عليه ـ وقد وقفت عليه ـ بصواب دعوى الفاسي والغماري رحمهما الله تعالى.

فصل

حد الحافظ:

للمحدثين عبارات متفاوتة في الأوصاف التي إذا اجتمعت في رجل جاز عندهم أن يوصف بالحافظ، كلها تدور حول الشهرة بالطلب والإكثار جداً مع كمال المعرفة.

قال العلامة الشيخ تاج الدين ابن السبكي في «معيد النعم ومبيد النقم»: المحدث من عرف الأسانيد والعلل، وأسماء الرجال، والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي ومعاجم الطبراني، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية. هذا أقل درجاته. فإذا سمع ما ذكرناه وكتب الطِباق ودار على الشيوخ وتكلم في العلل والوفيات والمسانيد كان في أول درجات المحدثين ثم يزيد الله من يشاء ما شاء. اهـ. ومثله في الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (١/ ٣٠).

وفي تدريب الراوي (١/ ٤٨) والجواهر والدرر (١/ ٣٠): أن الشيخ الإمام العلامة تقي الدين السبكي سأل الحافظ جمال الدين المزي عن حد الحفظ الذي إذا انتهى إليه الرجل جاز أن يطلق عليه الحافظ؟ قال: يرجع إلى أهل العرف، قلت: وأين أهل العرف؟ قليل جداً، قال: أقل ما يكون أن يكون الرجال الذين يعرفهم ويعرف

تراجمهم وأحوالهم وبلدانهم أكثر من الذين لا يعرفهم، ليكون الحكم للغالب. فقلت له: هذا عزيز في هذا الزمان، أدركت أنت أحداً كذلك؟ فقال: ما رأينا مثل الشيخ شرف الدين الدمياطي. ثم قال: وابن دقيق العيد كان له في هذا مشاركة جيدة ولكن أين الثريا من الثرى. فقلت: كان يصل إلى هذا الحد؟ قال: ما هو إلا كان يشارك مشاركة جيدة في هذا ـ أعني في الأسانيد ـ، وكان في المتون أكثر لأجل الفقه والأصول. اهـ.

قلت: كلام تاج الدين السبكي (وهو لم يصف الحافظ) موافق للواقع لا تشدد فيه لمن تدبر، فالطالب إذا أقبل على الحديث مبكراً كان عليه بعد قراءة شيء من كتب المصطلح أن يتدرب عند شيوخه على معرفة العالي والنازل وفنون الإسناد وضبط أسماء الرجال وحفظ المشهور منها وتقييد ذلك، وأثناءه يحفظ جملة مستكثرة من المتون، ثم يصعد بعد ذلك للسماع على الشيوخ فيحضر بعد الكتب الستة الدواوين الكبيرة كمسند أحمد وسنن البيهقي ثم لا يفته أن يقرأ مستملحات الحديث أعني الأجزاء والفوائد والمشيخات والمعاجم ووقت السماع والمذاكرة لا بد أن تقع له الإشكالات، فيسأل شيوخه عن العلل ويتدرب عندهم على التخريج فيصبح ذا دربة ومعرفة بفنون الحديث، ويكون قد أخذ عن جملة من الشيوخ، ثم يفتح الله تعالى عليه بما شاء. فالأمر غير مستحيل لمن طلبه بجد وإخلاص وتفرغ له مبكراً وانتفت مع ذلك الموانع. فكلام ابن السبكي رحمه الله تعالى كلام خبير بطلب العلوم وكيفية تدرج الطالب فيها مع ملاحظة أنه نشأ في بيت من أكبر بيوت العلم وتوفر له جملة من أكابر المشايخ.
والواقف على كتب التراجم يجد أن هذه المقروءات جزءاً من مقروءات المحدثين.

أما كلام الحافظ أبي الحجاج المزي ففيه تشدد وضيق في التطبيق فقط بحيث لم يسم ممن أدركه من شيوخه وطبقتهم حافظاً إلا الدمياطي. وكأن معرفة المزي وحفظه وإتقانه وتفوقه على أهل عصره بررت له ما يراه فإنه لم يرَ في الحديث مثل نفسه، وقد كان صاحب فن واحد والله أعلم.

وما قرره المزي لا يخالف ما قرره حافظان جليلان هما ابن سيد الناس وابن حجر. ففي تدريب الراوي (٤٨/١) ومثله في الجواهر والدرر (٢٩/١ - ٣٠) قال الحافظ أبو الفتح ابن سيد الناس: وأما المحدث في عصرنا فهو من اشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع رواة، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه، واشتهر فيه ضبطه فإن توسع في ذلك حتى عرف شيوخه، وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله منها فهذا هو الحافظ. اهـ.

قلت: تقرير أبي الفتح قريب مما قرره أبو الحجاج، لكنّ للمزي تشدداً في التطبيق لذا عقب عليه السخاوي في الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر (٣١/١) فقال: وكلام الحافظ أبو[1] الحجاج المزي في ذلك فيه ضيق بحيث إنه لم يسم ممن رآه بهذا الوصف إلا الدمياطي. اهـ.

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في نُكته على ابن الصلاح شروطاً للوصف بالحفظ (٢٦٨/١) ونقله عنه السخاوي في الجواهر والدرر (ص ٣٠)، والشعراني في الطبقات الصغرى (ص ٢٥ - ٢٦) فقال:

---

(١) كذا في الأصل المطبوع ويجوز فيه الوجهين لكن الجر بالإضافة أكثر استعمالاً والله أعلم.

للحافظ في عرف المحدثين شروط إذا اجتمعت في الراوي سموه حافظاً وهو:

١ ـ الشهرة بالطلب والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف.

٢ ـ والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم.

٣ ـ والمعرفة بالتجريح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم حتى يكون ما يستحضره من ذلك أكثر مما لا يستحضره مع استحضار الكثير من المتون.

فهذه الشروط إذا اجتمعت في الراوي سمَّوه حافظاً، اهـ.

قلت: المدقق في كلام التاج السبكي والمزي وابن سيد الناس يجد أن شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر قد سبكه سبك عارف موفق كعادته.

وإذا قالت حذام فصدقوها   فإن القول ما قالت حذام

وللحافظين الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٧٢/٢ ـ ١٧٣)، وشمس الدين الذهبي في مقدمة تذكرة الحفاظ كلام في حد الحافظ لا يخرج عما تقدم والله أعلم.

فصـــــل

وليس من شرط الحافظ أن يكون ثقة، ففي الحفاظ قوم تكلم فيهم، فالعدالة والضبط (وهما قسيما الثقة) لا علاقة بينهما وبين معرفة الحديث وتحقيق قواعده والاطلاع على أحوال رجاله والشهرة بالطلب والأخذ من أفواه الرجال وتمييز الصحيح من السقيم وغير ذلك. وإنما تشترط العدالة والضبط عند الاحتجاج بالراوي والعمل بالمروي. وفي الميـزان ولسانـه وتذكـرة الحفاظ وذكـر من يعتمد قـوله في الجـرح والتعديل أمثلة كثيرة توضح ذلك.

فصّل

كان حفظ المتقدمين يأخذ بمخالب القلوب وترى فيه العجب العجاب، وقد ذخرت كتب التواريخ ببدائع أخبارهم في الحفظ والمعرفة.

قال الحاكم في المدخل: كان الواحد من الحفاظ يحفظ خمسمائة ألف حديث. اهـ.

وقال أبو زرعة الرازي: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث.

وقال البخاري: أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح.

وروى الخطيب في تاريخه عن أبي العباس ابن عقدة الحافظ قال: أحفظ بالأسانيد والمتون خمسين ومائتي ألف حديث، وأذاكر بالأسانيد وبعض المتون والمراسيل والمقاطيع بست مائة ألف حديث. اهـ.

وفي الجامع لأخلاق الراوي وأداب السامع فصل لطيف فيه ذكر بعض أخبار الموصوفين بالإكثار من حفظ الحديث فانظره (٢/ ١٧٥).

ولما كان حفظ ومعرفة هؤلاء الجهابذة المتقدمين بما تراه، لذا فقد ضيّقوا في الشروط الواجب توافرها في الرجل حتى يوصف بالحفظ.

ولكن لما اختلف حال الرجال بنقص الزمان، تناقص الحفظ وقل الاعتناء بالآثار، وتبع ذلك بعض التساهل في هذه الأوصاف، فاتفق المتأخرون على أن شروط المتقدمين كانت بحسب زمانهم.

قال الحافظ ابن سيد الناس (تدريب ١/٤٨):

وأما ما يحكى عن بعض المتقدمين من قولهم: كنا لا نعد صاحب حديث من لم يكتب عشرين ألف حديث في الإملاء، فذلك بحسب أزمنتهم. اهـ.

وقال الحافظ الذهبي بعد أن ذكر الطبقة الخامسة من جزء «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» (ص ١٨٣) ما نصه: وخلق كثير لا يحضرني ذكرهم، ربما كان يجتمع في الرحلة منهم المئتان والثلاث مئة بالبلد الواحد، فأقلّهم معرفة كأحفظ من في عصرنا، اهـ.

وأشار أيضاً إلى نحو هذا المعنى في التذكرة (٢/٦٢٧ - ٦٢٨)، وفي بيان زغل العلم والطلب (ص ١١)، وقال أيضاً في ترجمة عبد العزيز الكتاني في التذكرة (٣/١١٧٠): ويحتمل أن يوصف بالحفظ في وقته، ولو كان موجوداً في زماننا لعُدّ من الحفاظ، اهـ.

ومما سبق يظهر أن الشروط الواجب توافرها في المحدّث حتى يوصف بالحفظ تختلف باختلاف الأزمان، والله أعلم.

فصــــل

تذكرة الحفاظ كتاب حافل متعدد الجوانب، خطة الذهبي فيه أن يذكر مشاهير شيوخ صاحب الترجمة ثم يسرد مصنفاته والآخذين عنه حسب ما يقتضيه المقام، ولا يفته ذكر ولادة ووفاة المترجم، ويختم الترجمة بإسناد حديث إلى النبي ﷺ من طريق صاحب الترجمة، ثم يثبت وفيات كبار أهل العلم، مع العناية بالمحدثين والمسندين ممن ماتوا في سنة وفاة المترجم.

ورغم أن الذهبي وفّى الجوانب المذكورة إلا أنه زاد على ذلك فوائد ذهبية أجملها في النقاط الآتية:

١ ـ يذكر ما يراه مناسباً في المترجم ـ خاصة في المتقدمين ـ من جرح وتعديل، وإذا كان الراوي ممن اختلف فيه يعطي كلمة فيه هل حديثه من قبيل الحسن؟، أو أنه يحتج بـه في باب المتـابعات والشواهد، فيقول في ترجمة فليح بن سليمان (ص ٢٢٤): حديثه في رتبة الحسن. وفي ترجمة (ص ٢٣٢) شريك بن عبدالله: حديثه من أقسام الحسن. وفي ترجمة عبدالله بن لهيعة (ص ٢٣٩): حديثه في المتابعات ولا يحتج به.

٢ ـ يذكر كلاماً جيـداً في الجرح والتعـديل يشبـه كلامـه في الميزان بتعبيرات ذهبية رائقة وألفاظ فائقة تظهر قوة العـارضة ومتـانة المعرفة، فتجعل لهذا الكتاب مزية في الباب.

فيقول في ترجمة يحيى بن بكير (ص ٤٢٠) قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به، قلت (أي الذهبي): قد علم تعنت أبي حاتم في الرجال وإلا فالشيخان قد احتجا به. نعم وقال النسائي: ضعيف. وأسرف بحيث إنه قال في وقت آخر: ليس بثقة. وأين مثل ابن بكير في إمامته وبصره بالفتوى وغزارة علمه. اهـ. وهذا الكلام الجيد من الذهبي لم يذكره في الميزان (٣٩١/٤)، وهو يذكر القارىء بقيمة إخراج الشيخين لحديث الرجل المتكلم فيه.

ويبين سبب احتجاج مسلم بسويد بن سعيد في صحيحه فيقول (ص ٤٥٥):

كان من أوعية العلم ثم شاخ وأضر ونقص حفظه فأتى في حديثه أحاديث منكرة، فترى مسلماً يتجنب تلك المناكير، ويخرج له من أصوله المعتبرة. اهـ. وهذا القول المعتبر لا تجده في ترجمة سويد من الميزان (٢٤٨/٢).

وفي ترجمة هدبة بن خالد (ص ٤٦٥) قال: وأما النسائي فقال: هو ضعيف، قلت (أي الذهبي): هنا لا يقبل تضعيف أبي عبد الرحمن، وهذا ابن عدي الذي أخذ علم هدبة عن طائفة كبار عنه يصرح بأنه: لا يعرف له ما ينكر، وهذا ابن معين ملك الحفاظ يفصح بأنه ثقة. اهـ. ولا تجد هذا النقد القوي في ترجمة هدبة من الميزان (٢٩٤/٤)، فللّه درّه ما أقوى معرفته بالرجال.

٣ ــ ويبدي الذهبي نقده لبعض الكتب الحديثية فيقول عن الإرشاد للخليلي (ص ١١٢٤): له فيه أوهام جمة كأنه كتبه من حفظه.

وفي ترجمة أبي الفرج ابن الجوزي (ص ١٣٤٧) يقول: له وهم كثير في تواليفه يدخل عليه الداخل من العجلة والتحويل إلى مصنف

آخر، ومن أن جُلّ علمه من كتب صحف ما مارس فيها أرباب العلم كما ينبغي . اهـ.

ويقول في ترجمة ابن القطان السِجلماسي (ص ١٤٠٧): طالعت كتابه المسمى «بالوهم والإيهام»[1] الذي وضعه على الأحكام الكبرى لعبد الحق يدل على حفظه وقوة فهمه، لكنه تعنت في أحوال رجال فما أنصف بحيث إنه أخذ يلين هشام بن عروة ونحوه. اهـ.

٤ ـ وهو يتكلم على الأحاديث ويبين حالها من الصحة والحسن والضعف ذاكراً سبب ذلك في بعض الأوقات.

انظر (٢٧٤، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٦٦، ٤١٨، ٤٣٨، ٧٦٥، ١٠٠٣، ١٠١٧، ١٢٣٩، ١٠٤٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١١٠٠، ١٢٣١، ١٤٧٥، . . . وغيرها).

ويمكن التوجه لهذه الأحاديث مع كلامه في الجرح والتعديل والكتب وجمعها في جزء يكون مفيداً للمشتغل بالحديث والله المستعان.

٥ ـ ويذكر عواليه عن المتقدمين ويشير إلى أماكن وجود هذه العوالي في الأجزاء الحديثية كجزء ابن عرفة والحفار ولوين وكتب الفوائد كالخلعيات والغيلانيات والطيوريات وغيرها، ويتفنن فيما يسنده ويذكر ما فيه من إبدال وموافقة ومصافحة مع علو أو نزول. وفي أثناء ذلك تجد ذكراً لكتب حديثية غريبة أو نادرة تدل على كثرة مسموعاته، وسعة اطلاعه، وقد لا يجد من يسنده من طريق صاحب الترجمة فيصرح بذلك وهذا من وفرة ورعه وبعده عن الدعاوى والمجازفات، انظر (١٤١٢، ١٤٢٢، ١٤٧٥). وهو مع ذلك ينبه على أوهام تقع في الأسماء والأنساب والوفيات والتواريخ.

---

(١) وللحافظ الذهبي رد عليه طبع بعضه بالمغرب.

٦ ـ وغالباً ما يختم الطبقة بكلام يصف حال المسلمين يتخلله نصائح ومواعظ، انظر (٢٤٤، ٣٢٨، ٦٢٨، ١٤٨٥).

ثم هو مع ذلك يذكر فوائد خلال تراجم الطبقات فيقول في ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه (ص ٤): فحق على المحدث أن يتورع في ما يؤديه وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذاً إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان وإلا تفعل:

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد

قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فإن آنستَ يا هذا من نفسكَ فهماً وصدقاً وديناً وورعاً وإلا فلا تتعنَّ، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب، وإن عرفتَ أنك مخلّط مخبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك فبعد قليل ينكشف البهرج وينكب الزغل ولا يحيق المكر السيء إلى بأهله، فقد نصحتك فعلم الحديث صلف فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب. اهـ.

ويقول في (ص ١٠٣١): نوح الجامع مع جلالته في العلم ترك حديثه...، فكم من إمام في فن مقصر عن غيره كسيبويه مثلاً إمام في النحو ولا يدري ما الحديث ولا يعرف العربية، وكأبي نواس رأس في الشعر عري من غيره، وعبد الرحمن بن مهدي إمام في الحديث لا يدري ما الطب قط، وكمحمد بن الحسن رأس في الفقه ولا يدري ما القراءات، وكحفص إمام في القراءة تالف في الحديث.

«وللحروبِ رجالٌ يُعْرَفونَ بِهَا»

فالكتاب جمع الكثير، والانتقاد والتحقيق به وفير، ومع ذلك فقد وقع للذهبي بعض ما يستدرك عليه ولب ذلك يقع في النقاط التالية:

١ ــ ذكر عدداً ليسوا من الحفاظ على سبيل الاستطراد أو غلبة الشَرَه المعروف عند المحدثين، وقد ينص على عدم حفظهم. انظر (٩١، ٣٧١، ٣٧٢، ٦٦٦، ١٠٠٠، ١٤٦٩، ١٤٩٣).

وتساهل مع القاسم ابن الحافظ الكبير أبي القاسم ابن عساكر (ص ١٣٦٧) ثم في أثناء الترجمة أبان عن عدم حفظه[1]، وقال الحافظ ابن ناصر الدين في التبيان (ص ٤٤٥): عده الأكثر في الحفاظ وفي ذلك مقال، وكان محدثاً فهماً مليح المعرفة حسن الحال، صنف فضايل بيت المقدس، وكتاب الجهاد، وأملى مجالس وخرج لنفسه عوالي من الأبدال. اهـ.

٢ ــ ذكر أسماء عدد من الحفاظ ولم يترجم لهم ويحيل القارىء على كتابه «الممتع في التاريخ». انظر (١٣٦، ١٣٧، ١٧٤، ١٩٣، ١٩٦، ٣٦١، ٣٨٨، ١٤٥٢).

كما قد يذكر بعض الحفاظ في وفيات الحافظ المترجم، ويقتصر على ذلك ولا يترجم لهم. انظر (١٠٠٣، ١٢٣٢، ١٢٥٧، ١٣٦٠).

٣ ــ قد يذكر أحد الحفاظ ضمن وفيات الحافظ المترجم ثم يفرد ترجمته فيما بعد، فالحافظ أبو نزار الحضرمي ذكره في وفيات الحافظ ابن عات (ص ١٣٩٠) ثم ترجمه (ص ١٣٩٣) والحافظ البكري ذكره في وفيات الحافظ المنذري (ص ١٤٣٨) ثم ترجمه (ص ١٤٤٤) وانظر أيضاً (ص ١٣٣٦)، والأمر في ذلك سهل.

---

(١) ورجح ذلك في جزء «ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل» (ص ٢٠٥) فقال: وما هو بحافظ بل له مشاركة قوية.

بقي أن نذكر أن أبا عبد الله الذهبي لم يستوعب أسماء الحفاظ في تذكرته ولا ادعىٰ ذلك، بل قال في (ص ٢٤٤) في نهاية كلامه على الطبقة الخامسة: وإنما اقتصرت على إيراد هؤلاء النيف والسبعين إماماً طلباً للتخفيف. اهـ.

وقال في نهاية الطبقة التاسعة (ص ٦٢٧): ولقد كان في هذا العصر وما قاربه من أئمة الحديث النبوي خلق كثير وما ذكرنا عشرهم هنا، وأكثرهم مذكورون في تاريخي. اهـ.

وبالجملة فالكتاب أحسن ما صنف في بابه وقد طبع بعناية الشيخ عبدالرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله تعالى.

فصل

اعتاد الحفاظ الثلاثة: الذهبي في تذكرته، والحسيني وابن فهد في ذيليهما؛ رواية حديث متصل الإسناد عن طريق صاحب الترجمة.

وقد رأيت أن رواية حديث مسند في كل ترجمة فيه طول قد يؤدي إلى الخروج عن المقصود. فرأيت أن أجتزىء عن ذلك برواية الحديث المسلسل بالحفاظ لمناسبته للمقام وحتى لا يخلو الكتاب من حديث مسند اقتداء بالحفاظ الثلاثة والله المستعان.

أخبرنا العلامة المحدث الشريف السيد عبدالله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني ـ وهو أحفظ من رأيت ـ أنا الحافظ أحمد بن محمد بن الصديق ـ وهو أحفظ من رأى ـ أنا المحدث محمد بن جعفر الكتاني، أنا الوليد بن العربي العراقي، أنا حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج، أنا محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، أنا الحافظ إدريس بن محمد العراقي، أنا محمد بن عبد الرحمن الفاسي صاحب «المنح البادية في الأسانيد العالية»، أنا محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي، أنا أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي العافية الشهير بابن القاضي، أنا الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي، أنا الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أنا الحافظ أبو حفص البلقيني، أنا الحافظ أبو الحجاج المزي، أنا محمد بن عبد الخالق بن طرخان، أنا الحافظ أبو الحسن المقدسي، أنا الحافظ أبو طاهر

السلفي، أنا الحافظ أبو الغنائم النرسي، أنا الحافظ أبو نصر بن ماكولا، أنا الحافظ أبو بكر الخطيب، ثنا الحافظ أبو حازم العبدري، ثنا الحافظ أبو عمرو بن مطر، ثنا إبراهيم بن يوسف الهسنجاني الحافظ، ثنا الفضل بن زياد صاحب الإمام أحمد بن حنبل، ثنا أحمد بن حنبل ثنا زهير بن حرب، ثنا يحيى بن معين، ثنا علي بن المديني، ثنا عبيدالله بن معاذ العنبري قال: حدثنا أبي قال: ثنا شعبة عن أبي بكر بن حفص عن أبي سلمة قال: دخلت على عائشة، أنا وأخوها من الرضاعة فسألها عن غُسْلِ النبي ﷺ من الجنابة؟ فدعت بإناءٍ قدْرِ الصَّاعَ فاغتسلت وبيننا وبينها سِترٌ وأفرغت على رأسها ثلاثاً. قال: وكان أزواج النبي ﷺ يأخذن من رُؤوسِهنّ حتى تكون كالوفرة.

قلت: إسناده نازل جداً، فتسلسله بالحفاظ - غالباً - سبب في نزوله، فوقع فيه رواية عدد من الأقران بعضهم عن بعض، وفقد شرطَه في عدد المذكورين، ووقع التساهل عند بعض أصحاب المسلسلات والفهارس والأثبات من المتأخرين فوصفوا كل راو من رواته من تجاههم وهو خطأ.

والحديث من هذا الوجه رواه مسلم في صحيحه (١/٢٥٦). ولنا أسانيد أعلى من هذا إلى الصحيح.

فصل

اعلم أنهم كما قسموا الحفاظ لطبقات، فقد أدرجوهم في درجات حسب تفننهم وتقدمهم وقوة نقدهم ومعرفتهم بالفن، فمع مشاركتهم في الشروط التي إذا توفرت في شخص ما كان حافظاً، فقد برز بعضهم وتقدموا في أنواع، وبرز آخرون في أنواع أخرى فلذا كان لهم مراتب ودرجات. وقد قالوا: كم من حافظ وغيرُه أحفظ منه.

فمرتبة البخاري أعلى من مرتبة ابن ماجه، وابن حبان أدون من النسائي، والحاكم أمكن من البيهقي وهو عمدته، ومع ذلك كلهم مذكورون في الحفاظ. والحفاظ النقاد المتكلمون في الرجال قليلون فهيهات أن يدرك غالب الحفاظ درجة المُزكين والمجرحين.

والمُزكون والمجرِّحون كذلك على درجات، فالجوزجاني والأزدي وابن الجوزي معدودون من أهل الجرح والتعديل ولهم في ذلك مصنفات، ولكن هيهات أن يكونوا في مرتبة شعبة وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن معين وأمثالهم.

والحفاظ مؤهلون لمعرفة العلل، لكنَّ النقاد الذين لهم اليد الطولى في معرفة العلل قليلون جداً. فالحاكم وابن الجوزي تكلما في العلل وصنفا فيه، والأول أمكن من الثاني بكثير، ولكن كلامهما في العلل لا يصل لمرتبة علي بن المديني وأحمد بن حنبل ومسلم بن الحجاج وأبي الحسن الدارقطني ممن صنف في العلل.

والتفاضل بين الحفاظ وقع قديماً، فقالوا: أحفظ أصحاب الزهري مالك ثم ابن عيينة، ويونس بن عبيد أحفظ أصحاب الحسن البصري، وجرير بن عبد الحميد أعلم بحديث منصور بن المعتمر من باقي أصحابه. . . وهكذا.

وقد عقد الحافظ أبو الفرج ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ هـ رحمه الله تعالى فصلاً مفيداً في شرحه لعلل الترمذي (ص ٣٣٣ إلى ص ٣٩٣) ذكر فيه مراتب أعيان الثقات الذين تدور عليهم غالب الأحاديث الصحيحة وبيان مراتبهم في الحفظ وذكر من يرجح قوله منهم عند الاختلاف.

وذكر الحافظ السيوطي في كتابه التدريب (٢/٣٩٩ - ٤٠٦) مقارنات ممتعة ومفيدة بين الحفاظ خاصة المتأخرين منهم. ونحوه للسخاوي في الجواهر والدرر (١/٣٩ - ٤٢).

وكما وقع التفاضل بين الحفاظ وقع التفاضل بين مصنفاتهم كما هو مبسوط في مواضعه.

فصل

قال شيخنا المحقق العلامة السيد عبدالله بن محمد بن الصديق:

الحافظ نوعان:

١ ـ حافظ على طريقة الفقهاء كالطحاوي والبيهقي والباجي وابن العربي المعافري والقاضي عياض والنووي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير.

٢ ـ حافظ على طريقة المحدثين، وهم معظم الحفاظ.

والحافظ على طريقة المحدثين أكثر حفظاً، وأوسع رواية، وأعرف بأحوال الرجال وطبقاتهم، وأدرى بقواعد التصحيح والتضعيف، لتمكنه في معرفة العلل، وغرائب الأحاديث. انتهى كلام شيخنا عن رتب الحفظ عند المحدثين المطبوع بنهاية سبيل التوفيق (ص ١٦٦).

وقال الحافظ السخاوي في الجواهر والدرر (١/٣٨ - ٣٩):

قدم السبكي الكبير ابن رافع على ابن كثير وتبعه صاحب الترجمة حيث قال: إن الإنصاف أن ابن رافع أقرب إلى وصف الحفظ على طريقة أهل الحديث من ابن كثير، لعنايته بالعوالي، والأجزاء، والوفيات، والمسموعات دون ابن كثير، وابن كثير أقرب إلى الوصف بالحفظ على طريقة الفقهاء، لمعرفته بالمتون الفقهية، والتفسيرية،

دون ابن رافع، فيجمع منهما حافظ كامل، قال: وقلَّ من جمعهما بعد أهل العصر الأول، كابن خزيمة، والطحاوي، وابن حبان، والبيهقي، وفي المتأخرين شيخنا العراقي. انتهى بتصرف يسير في أوله.

فصـــــل

الحفاظ في أهل السنّة كثيرون ومتوافرون، فلا تخلو طبقة، ولا يخلو مصر من عدد وفير من الحفاظ السنّيين، ويليهم حفاظ الشيعة فإن الحفظ كان كثيراً فيهم خاصة في المتقدمين منهم ساكني الكوفة.

وأكثر المذاهب الفقهية حفاظاً هم الشافعية، وهذا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار فهم أكثرهم حفظاً وتخريجاً وكلاماً على العلل وتصنيفاً والمحدثون عالة على كتبهم طبقة بعد طبقة.

ولا يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد قال علامة الهند شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في الإنصاف (ص ٣٧):

وإن علم الحديث قد أبى أن يناصح لمن لم يتطفل على الشافعي وأصحابه رضي الله تعالى عنهم:

وكن طفيليهم على أدب فلا أرى شافعاً سوى الأدب

والعراق وخاصة بغداد دار السلام وحاضرة الإسلام أكثر الأمصار الإسلامية حفاظاً.

قال الحافظ السخاوي في الإعلان بالتوبيخ (ص ١٣٩):

كثر بها (أي بغداد) هذا الشأن فلم تزل معمورة بالأثر والخبر وإلى زمن الإمام أحمد ثم أصحابه وهي دار الإسناد العالي والحفظ،

ومنزل الخلافة والعلم، إلى أن استؤصلت في كائنة التتار الكفرة فبقيت على نحو الربع، ثم تزايد خرابها حتى لم يبق فيها من يعرف شيئاً من العلم، والأمـر لله. اهـ. وأصله في الأمصـار ذوات الآثـار للذهبي (ص ١٧٢) وفيه مبالغة ظاهرة والله أعلم.

وكثر الحفاظ بعد كائنة التتار بالشام ومصر مع مشاركة قوية معروفة للعراق قبل الكائنة المذكورة ثم بمصر ختم هذا الشأن، والله أعلم.

ثم بعد هذه التقدمة فلنشرع في المقصود، والله المستعان.

١ ـ رضوان العُقبي

رضوان بن محمد بن يوسف بن سلامة بن البهاء بن سعيد زين الدين أبو النعيم وأبو الرضا الشيخ العلامة المقرىء الحافظ العقبي ثم القاهري الشافعي.

ولد في رجب سنة ٧٦٩ هـ بميت عقبة المنطقة المعروفة بالجيزة بمصر وحفظ القرآن والتنبيه واعتنى بالتجويد والقراءات فجوّد بعض القرآن على إسماعيل الأنبابي وتلا بالسبع إفراداً إلا نافعاً فلم يكملها وذلك على علي الدميري المالكي وقرأ عليه بعض شروح الشاطبية وأكثر من مراجعة القراءات مع شيوخ عصره كالشمس الغماري وابن الجزري وعلي بن سلامة بمكة المكرمة والفخر عثمان البرماوي والشمس الشطنوفي وغيرهم كثير من القراء واجتهد في القراءات جداً فحصل مطلوبه ونال مرغوبه، وتفقه بالبلقيني وابن الملقن والقليوبي والعراقي والشطنوفي وأذن له مشايخه بالإفتاء وأخذ العربية عن الشمس الشطنوفي وعن الغماري فقرأ على الأخير شرح الألفية لابن الناظم والفصول لابن عصفور وبعض الحماسة وأخذ أصول الفقه عن الشمس القليوبي.

أما الحديث فإنه كتَب عن الحافظ أبي الفضل العراقي أماليه وأخذ بعضها عن ولده أبي زرعة ثم اشتدت عنايته بالحديث وبالغ في الطلب فقرأ على مشايخه الكتب الستة ومسند أحمد ومسند الشافعي وموطأ يحيى بن يحيى والقعنبي والبعض من كل من موطأ أبي مصعب

ويحيى بن بكير ومسند أبي حنيفة وجميع شرحي معاني الآثار للطحاوي وسنن الدارقطني وسيرة ابن هشام والسنن الكبرى للبيهقي وغير ذلك من الأجزاء وكتب المشيخات والطباق مع العناية التامة في الأخذ عن الشيوخ فتلقى عمن دب ودرج وأخذ عن الأعلى والمساوي والدون.

وانفرد بمعرفة الشيوخ المصريين وما عندهم من مسموعات وذلك لاستقصائه وعنايته في تتبعه حتى صار عليه المُعول في ذلك واشتهر أمره فحدث بالكثير وأقرأ القرآن الكريم وتخرج به جمعٌ من الفضلاء.

كان خيّراً ديّناً صادق اللهجة غزير المروءة متواضعاً منطرح النفس وقوراً بسّاماً مهاباً بهياً نيّر الشيبة حسن السمت كثير التلاوة والعبادة سمحاً بإعارة كتبه وأجزاءه فهو كما قال السخاوي: قلَّ أن ترى العيون في مجموع مثله. اهـ. وطار اسمه بمعرفة الأسانيد والشيوخ والعالي والنازل وغير ذلك من فنون الحديث وكتب بخطه الكثير من الكتب والأجزاء والطباق وخرج كثيراً لنفسه ولغيره وقرظ له هذه التخريجات الحافظ ابن حجر وكان المترجم قد لازمه وكتب عنه الكثير واستفاد به.

وكان الحافظ ابن حجر شديد الميل إليه مقدماً له على غيره وشهد له بالتبرز في علم الحديث وشهد له بأنه أمثل من تخرج عليه من طلبة الحديث وقدمه للاستملاء، وشهد له الحافظ ابن حجر بالحفظ عدة مرات.

ووصفه بالحافظ تلميذه الشمس السخاوي في الجواهر والدرر في عدة أماكن وفي الضوء اللامع (٦/٨) ومع ذلك فقد قال الحافظ السيوطي في نظم العقيان (ص ١١٢): وهو في درجة المفيد وهي مرتبة فوق المحدث ودون الحافظ كما بيَّنها الذهبي. اهـ. قلت: شهد

له بالحفظ حافظ الدنيا ابن حجر العسقلاني وتلميذه السخاوي وكفى بهما حجة فهما أعرف به. ووصفه بالحفظ ممن تأخر عنه الشوكاني في البدر الطالع (١/ ٢٤٩).

توفي المترجم في يوم الاثنين ثالث رجب سنة اثنتين وخمسين رحمه الله تعالى.

ترجمه السخاوي في الضوء اللامع (٣/ ٢٢٦ - ٢٢٩)، والسيوطي في نظم العقيان (ص ١١٢) وابن العماد في شذرات الذهب (٧/ ٢٧٤ - ٢٧٥)، والشوكاني في البدر الطالع (١/ ٢٤٩).

٢ - محمد بن فهد المكي

محمد بن محمد أبي النصر بن محمد أبي الخير بن محمد أبي عبدالله بن عبدالله بن فهد بن حسين بن محمد بن عبدالله بن هاشم تقي الدين أبو الفضل الشيخ العلامة الحافظ الهاشمي العلوي المكي الشافعي.

ولد بأصفون من صعيد مصر الأعلى قرب أسنا في عشية يوم الثلاثاء خامس شهر ربيع الآخر سنة ٧٨٧ هـ وكان والده قد سافر إلى أصفون لاستخلاص مآثر موقوفة على والدته خديجة ابنة العلامة عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم القرشي المخزومي الأصفوني، فتزوج هناك ابنة ابن عم جده المذكور، فولدت له صاحب الترجمة.

وفي سنة ٨٩٥ هـ انتقل به والده إلى مكة المكرمة فحفظ بها القرآن الكريم وعمدة الأحكام والتنبيه في الفقه، وألفية النحو لابن مالك، والألفية في الحديث للعراقي، وقطعة من أول الحاوي الصغير لنجم الدين القزويني وعرض ذلك على جماعة.

ثم ابتدأ في السماع سنة ٨٠١ هـ فسمع الكتب الستة والدارمي والموطأ ومسند عبد بن حميد وصحيح ابن حبان وسنن النسائي وسنن البيهقي والشمائل والشفا ومسند الشافعي وكتب الخطيب المتداولة، وأجزاء حديثية عديدة، وحضر مجالس في المغازي والسير فسمع سيرة مغلطاي وسيرة ابن سيد الناس، وتاريخ المدينة للمراغي، بالإضافة إلى كتب الاصطلاح.

ومن سمع عليه برهان الدين ابن صديق، وأبو بكر بن الحسين المراغي، وأبو اليمن الطبري وعبد الرحمن بن محمد الزبيري وغيرهم.

ورحل لطلب السماع إلى عدة بلاد.

وأجاز له من بلاد مصر والشام خلائق منهم الحافظ العراقي، والحافظ الهيثمي، وكمال الدين الدميري وغيرهم.

وتخرّج في الحديث عن الحافظين جمال الدين بن ظهيرة القرشي، وغرس الدين خليل بن محمد الأقفهسي لازمهما كثيراً وانتفع بهما.

وكان قد تفقه بالجمال ابن ظهيرة، وشمس الدين العراقي، والشيخ نور الدين بن سلامة وأتقن عليهما المختصرات الثلاثة في الفقه الشافعي: التنبيه، والحاوي، والمنهاج، وأذنوا له بالإفتاء والتدريس.

وأجازه بالفتوى كذلك شيخ القراء شمس الدين الجزري.

وقد عمل له ولده عمر بن محمد بن فهد معجمين: الأول في مقروءاته سماه «الجواهر الفاخرة فيما قرأه التقي بن فهد وسمعه»، والثاني في مشايخه بالسماع والإجازة اسمه «إرشاد المهتدين لمشايخ ابن فهد تقي الدين». وذكر السخاوي في الضوء اللامع أنه استفاد من هذين المعجمين كثيراً.

ذكره السخاوي فقال: تميز في هذا الشأن وعرف العالي والنازل، وشارك في فنون الأثر وكتب بخطه الكثير وجمع المجاميع واختصر وانتقى، وخرج لنفسه ولشيوخه فمن بعدهم وصار المعول في هذا الشأن ببلاد الحجاز قاطبة عليه وعلى ولده بدون منازع. اهـ.

وقال ولده الحافظ عمر بن محمد بن فهد في معجم شيوخه:

حدث بجملة من مسموعاته وغيرها وخرج لجماعة من شيوخه وغيرهم، وألّف كتباً جمة وجمع المجاميع واختصر وانتقى وشارك في الفضائل وبرع في الحديث متناً وإسناداً وهو سريع البادرة سريع الرجوع، والغالب عليه سلامة الباطن وكثيراً ما أوذي بسبب ذلك، واقتنى من الكتب الحسان والأصول ما لم يحصل لأحد من أهل بلده. اهـ.

صنف التصانيف النافعة المحررة من أهمها:

«نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتذهيب» جمع فيه بين تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر وتذهيب تهذيب الكمال للذهبي مع زيادات من أصلهما للمزي، وهو كتاب جليل القدر أثنى عليه أهل الصناعة أمثال الحافظ تقي الدين الفاسي. وقال السخاوي: وهو كتاب حافل لو ضم إليه ما عند مغلطاي من الزوائد في مشايخ الراوي والآخذين عنه لكنه لم يصل إلى مكة إذ ذاك. اهـ.

قال الفقير إلى الله تعالى راقمه:

ولا ضير عليه في عدم الوقوف على كتاب الحافظ مغلطاي. ومختصريه له لأن الحافظ ضَمَّنَ كتابه التهذيب مقاصد وفوائد كتب مغلطاي. والزيادات في مشايخ الراوي والآخذين لا تفيد كثيراً إلا إذا اشتهر أن الراوي لم يرو عنه إلا راو واحد فقط فإذا حصل المستدرك على راو آخر أفاد هذا الراوي رفع جهالة العين لذلك الرجل برواية راويين عنه، وعناية الحافظ بهذا النوع في التهذيب ظاهرة بسبب سعة اطلاعه وتأخره الذي مكّنه من الاطلاع على كتب الذهبي ومغلطاي رحمهما الله تعالى. على أنه لا يستبعد وقوف التقي ابن فهد على

كتاب مغلطاي ومختصريه وقد وصفها وصف العارف بها في ترجمة مغلطاي في لحظ الألحاظ والله أعلم.

ومنها «عمدة المنتحل وبلغة المرتحل» يروي فيه أربعين حديثاً عن أربعين كتاباً لأربعين إماماً عن أربعين شيخاً متصلين بأربعين صحابي منهم العشرة والعبادلة رضي الله عنهم.

ومنها «الإشراف على الجمع بين النكت الظراف وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف»، و«لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ» وهو أحسن من ذيلي أبي المحاسن ابن حمزة الحسيني والجلال السيوطي من وجوه عدة، و«بهجة الدماثة بما ورد في فضل المساجد الثلاثة»، و«الدرر الفائقة والأخبار الرائقة»، و«المصابيح المشرقة الزاهرة في معجزات المصطفى ومناقب عترته الطاهرة»، و«طرق الإصابة بما جاء في الصحابة»، و«الجنة بأذكار الكتاب والسنة»، و«الزوائد على حياة الحيوان للدميري»، و«نخبة العلماء الأتقياء بما جاء في قصص الأنبياء».

قال السخاوي: «ولم ينفك عن المطالعة والكتابة والقيام بما يهمه من أمر عياله واهتمامه بكثرة الطواف والصوم والاستمرار على الشرب من ماء زمزم بحيث يحمله معه إذا خرج من مكة غالباً وبرّه بأولاده وأقاربه وذوي رحمه مع سلامة صدره وسرعة بادرته ورجوعه وكثرة تواضعه وبذل همته مع من يقصده وامتهانه لنفسه وغير ذلك. وتصدى للإسماع فأخذ عنه الناس من سائر الآفاق الكثير، وكنت لقيته فحملت عنه بالمجاورة الأولى الكثير وطالع في مجاورتي الثانية كثيراً من تصانيفي حتى في مرض موته ومات وأنا هناك في صبيحة يوم السبت سابع ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وثمانمائة وصلي عليه بعد

صلاة العصر عند باب الكعبة ثم دفن بالمعلاة». اهـ. (الضوء اللامع ٩/٢٨١).

تغمده الله تعالى بواسع رحمته وغفراته.

ترجمه ولده عمر بن فهد في معجم شيوخه (ص ٢٨٠)، والسخاوي في الضوء اللامع (٩/٢٨١)، والسيوطي في نظم العقيان (ص ١٧٠)، والشوكاني في البدر الطالع (٢/٢٥٩).

٣ ـ قاسِم بن قُطْلُوبُغا

قاسم بن قطلوبغا الزين السودوني الجمالي الإمام العلامة الحافظ الفقيـه، ذو الفنون والتصـانيف الحنفي المصـري المعـروف بقـاسم الحنفي.

وقُطْلُوبُغَا بضم القاف وسكون الطاء وضم اللام وضم الموحدة بمعنى الفحل الميمون قاله الزاهد الكوثري في مقدمة منية الألمعي. والسودوني الجمالي نسبة لمعتق أبيه.

ولد الشيخ قاسم الحنفي سنة ٨٠٢ هـ وحفظ القرآن العظيم ثم اشتغل بالخياطة لأجل التكسب فبرع فيها ثم تركها وأقبل على العلم بكلّيته فجوّد القرآن وسمع بعض التفسير من العلاء البخاري واعتنى بالفقه الحنفي وأصوله وتتلمذ في ذلك على السـراج قارىء الهـداية ومجد الدين الرومي وعبد اللطيف الكرماني، وقـرأ في أصول الـدين والفـرائض والفلك والمعاني والبيـان وغير ذلـك على شيوخ آخـرين استوعبهم السخاوي في الضوء اللامع.

واشتدت عنايته بملازمة الإمام المحقق الكمال ابن الهمام بحيث سمع عليه غالب ما كان عنده في عدة فنون وذلك من سنة ٨٢٥ هـ إلى وفاة ابن الهمام، وكان معظم انتفاعه به.

وطلب الحـديث فجـد واعتنى فسمــع على ابن حجـر، وابن الجزري، وزين الدين الزركشي، وتقي الدين المقريزي.

ورحل للسماع إلى الشام والإسكندرية ودخل بيت المقدس وأجازه جمع من المسندين.

تَمَيَّزَ على أهل عصره فعُرف بقوة الحافظة والذكاء وأشير إليه بالعلم، وأذن له غير واحد بالإفتاء والتدريس، وصنف شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر «الإيثار بمعرفة رواة الآثار» بطلب المترجم ووصفه بالإمام العلامة المحدث الفقيه الحافظ.

تصدى للتدريس والإفتاء وأخذ عنه كثير من الفضلاء، وممن كتب عنه من نظمه ونثره البرهان البرقاعي ثم حصلت بينهما جفوة فالله يغفر لهما.

أقبل على التصنيف فشرح قصيدة الإشبيلي في المصطلح «غرامي صحيح» في مجلدين وكتب حاشية على شرح ألفية العراقي وشرح النخبة للحافظ، كما حشّى على المشتبه والتقريب للحافظ أيضاً.

وخرّج أحاديث الاختيار شرح المختار في الفقه الحنفي في مجلدين، وعوارف المعارف للسهروردي، والبزدوي في أصول فقه السادة الحنفية، وتفسير أبي الليث السمرقندي، وشرح العقائد النسفية سماه «بغية الرائد في تخريج أحاديث شرح العقائد»، ومنهاج العابدين، وبداية الهداية، والأربعين في أصول الدين، وجواهر القرآن الأربعة للإمام أبي حامد الغزالي، ومنية الألمعي بما فات من تخريج أحاديث الهداية للزيلعي، وإتحاف الأحياء بما فات من تخريج أحاديث الإحياء للعراقي.

وله الأمالي على مسند أبي حنيفة في مجلدين، وترتيب مسند أبي حنيفة لابن المقري، وتبويب مسنده للحارثي، وترتيب الإرشاد لأبي يعلى الخليلي، والتمييز للجوزقاني، وأسئلة الحاكم للدارقطني،

ومن روى عن أبيه عن جده، وتقويم اللسان وفضول اللسان، وأفرد الثقات من غير رجال الكتب الستة في أربعة مجلدات وهو من أهم كتبه.

وله أيضاً الاهتمام الكلي بإصلاح ثقات العجلي، وتاج التراجم في أسماء أصحاب التصانيف الحنفية وهو مطبوع، وجمع زوائد رجال الموطأ ومسند الشافعي وسنن الدارقطني على الكتب الستة، وكتب أجوبة على اعتراضات ابن أبي شيبة على أبي حنيفة، وتبصرة الناقد في كيد الحاسد في الذب عن الإمام أبي حنيفة.

وجمع عوالي وكتب معاجم وترجم لمشايخ مشايخه ومشايخ عصره، وله تصانيف أخرى في الفقه الحنفي كتصحيح القُدُوري، ومختصر المنار، وأفرد رسائل في مسائل متعددة وغير ذلك.

قال السخاوي ـ وهو من جملة الآخذين عنه ـ:

«هو إمام علامة قوي المشاركة في فنون، ذاكر لكثير من الأدب ومتعلقاته، واسع الباع في استحضار مذهبه وكثير من زواياه وخباياه، متقدم في هذا الفن، طلق اللسان، قادر على المناظرة وإفحام الخصم لكن حافظته أحسن من تحقيقه، مغرم بالانتقاد ولو لمشايخه حتى بالأشياء الواضحة والإكثار من ذكر ما يكون من هذا القبيل بحضرة كل أحد ترويجاً لكلامه بذلك مع شائبة دعوى ومسامحة، ولقد سمعته يقول إنه أفرد زوائد متون الدارقطني أو رجاله على الستة من غير مراجعتها، كثير الطرح لأمور مشكلة يمتحن بها وقد لا يكون عنده جوابها ولهذا كان بعضهم يقول: إن كلامه أوسع من علمه، وأما أنا فأزيد على ذلك بأن كلامه أحسن من قلمه مع كونه غاية في التواضع وطرح التكلف وصفاء الخاطر جداً وحسن المحاضرة لا سيما في

الأشياء التي يتحفظها، وعدم اليبس والصلابة والرغبة في المذاكرة للعلم وإثارة الفائدة». اهـ. (الضوء اللامع ٦/١٨٨).

وقد تقدم وصف الحافظ ابن حجر له: بالإمام العلّامة الفقيه الحافظ.

تعلل المترجم له في آخر حياته مدة إلى أن توفي ليلة الخميس رابع ربيع الآخر سنة ٨٧٩ هـ رحمه الله تعالى وأنزله رضوانه.

ترجمه السخاوي ترجمة حافلة تليق بمقامه في الضوء (٦/١٨٤)، والشوكاني في البدر الطالع (٢/٤٥) واللكنوي في التعليقات السنية (ص ٩٩)، والكتاني في فهرس الفهارس (ص ٩٧٢).

٤ ـ برهان الدين البقاعي

إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ـ بضم الراء ـ ابن علي بن أبي بكر برهان الدين أبو الحسن الروحائي البقاعي الدمشقي الشافعي الإمام العلامة الحافظ المفسر المؤرخ المصنف.

ولد سنة ٨٠٩ هـ في قرية روحا من البقاع ونشأ بها ثم تحول لدمشق ثم فارقها ودخل بيت المقدس ثم القاهرة وقرأ على أساطين عصره كالتاج بن بهادر في الفقه والنحو وقرأ على ابن الجزري جمعاً للعشر في أثناء سورة البقرة ولازم القاياتي كثيراً وقرأ عليه في أصول الدين والمنطق وسمع دروسه في الفقه وأصوله والنحو والمعاني والبيان وحضر دروسه في الكشاف وأخذ عن تقي الدين الحصني والتاج الغرابيلي والعماد بن شرف وآخرين ببيت المقدس، وأخذ بالقاهرة عن الشرف السبكي والعلاء القلقشندي والحافظ ابن حجر وأبي الفضل المغربي، وأكثر من ملازمة الحافظ ابن حجر في الحضر وفي السفر فسافر معه إلى حلب وأخذ عن شيوخها وتخرج به وبالحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي.

دخل دمياط وإسكندرية وغيرهما وحج وجاور يسيراً وأكثر من السماع وركب البحر في عدة غزوات ورابط غير مرة وعيّن لإقراء الحديث بالقلعة.

وبرع في جميع العلوم وتميز وناظر وفاق الأقران لا كما قال

السخاوي عنه: إنه ما بلغ رتبة العلماء بل قصارى أمره إدراجه في الفضلاء وأنه ما علمه أتقن فناً. وهذا غاية في الجحود وكم من فاضل كان لا يعول على ما في الضوء لما يحمله من نقد غير بريء.

وقال الشوكاني معقباً على تنقيص السخاوي للمترجم له ولتصانيفه: بل تصانيفه شاهدة بخلاف ما قاله وإنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف لكن هذا من كلام الأقران بعضهم في بعض بما يخالف الإنصاف لما يجري بينهم من المنافسات تارة على العلم وتارة على الدنيا وقد كان المترجم له منحرفاً عن السخاوي والسخاوي منحرفاً عنه وجرى بينهما من المناقضة والمراسلة والمخالفة ما يوجب عدم قبول أحدهما على الآخر. اهـ.

وصنف السخاوي في الرد على المترجم «الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل»، و«القول المعروف في الرد على منكر المعروف»، وترجمه ترجمة مظلمة للغاية في الضوء اللامع وأكثر فيها من الحط عليه ولم يذكر شيئاً من مناقبه وبالغ في ذكر مخالفيه والذي يظهر أن المترجم له كان قوي النظر حادّ المقال لا يعبأ بمخالفيه لذلك انتقد على ابن عطاء الله السكندري وابن الفارض وابن تيمية فقام الناس عليه، وصنف في الرد على ابن فارض وابن عربي الحاتمي الطائي كتاباً متداولاً سماه «تنبيه الغبي بتكفير عمر بن الفارض وابن عربي» فانتقد عليه كثيراً بسبب هذا التصنيف وتناولته الألسن وكثر الرد عليه من معاصريه فممن رد عليه الحافظ السيوطي بكتاب سماه «تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي».

وله مصنفات أخرى منها «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» وهو أشهر كتبه و«النكت الوفية على شرح الألفية» أي شرح العراقي على ألفية الحديث، و«عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران»، ثم

اختصره في «عنوان العنوان بتجريد أسماء الشيوخ والتلامذة والأقران»، وديوان شعر سماه «إشعار الواعي بأشعار البقاعي» وأجزاء أخرى.

وصفه بالحفظ أعيان شهوده رغم كثرة المنافسة والمعارضة.

وتوفي بدمشق سنة ٨٨٥ هـ رحمه الله تعالى وترجمته تحتمل أكثر من هذا.

ترجمه السخاوي في الضوء اللامع (١/١٠١ - ١١١)، والسيوطي في نظم العقيان في أعيان الأعيان (ص ٢٤)، و عمر بن فهد في معجم الشيوخ (ص ٣٣٦ - ٣٣٩)، وشذرات الذهب لابن العماد (٧/٣٣٩ - ٣٤٠)، والشوكاني في البدر الطالع (١/١٩ - ٢١).

٥ - عمر بن فهد المكي

عمر بن الحافظ تقي الدين أبي الفضل محمد بن محمد بن محمد أبي الخير بن محمد بن عبدالله بن فهد بن حسين بن محمد بن عبدالله بن هاشم نجم الدين أبو القاسم الشيخ العلامة الحافظ المؤرخ الهاشمي العلوي المكي الشافعي.

ولد في ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة ٨١٢ هـ بمكة المكرمة ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم ثم حفظ من أول مختصر الخرقي في الفقه الحنبلي إلى أثناء كتاب الفرائض، ثم تحول شافعياً بأمر أبيه فحفظ النصف الأول من المنهاج للإمام النووي مع محفوظات أخرى في الحديث والنحو.

بكّر به والده فأحضره وأسمعه الكثير على مشايخ مكة المكرمة والقادمين إليها، ثم رحل إلى البلدان المتعددة فسمع بالمدينة النبوية الشريفة والقاهرة ودمياط والإسكندرية، وحلب وحمص وحماه ودمشق وزبيد وبعلبك وغيرها.

ومن شيوخه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي لازمه كثيراً وصحبه في بعض أسفاره واستفاد منه وحمل عنه أشياء، ورأيت جملة كتب لابن ناصر الدين الدمشقي بخط صاحب الترجمة وعليها سماعه بمكتبة الحرم المكي الشريف، ومن شيخوخه الحافظ ابن حجر الذي كان كثير الميل إلى صاحب الترجمة والإقبال عليه، والحافظ

برهان الدين سبط ابن العجمي الحلبي، والحافظ جمال الدين بن ظهيرة، والقاضي مجد الدين الشيرازي صاحب القاموس المحيط، وبرهان الدين البقاعي، وغيرهم.

وجمع معجماً لشيوخه بالسماع والإجازة وهو مطبوع في مجلد.

قال السخاوي: «وكتب الكثير بخطه من المطولات وغيرها وعرف العالي والنازل وقمّش في طول هذه المدة بل وبعدها أيضاً عمن دب ودرج وأخذ عمن هو مثله بل وممن دونه ممن هو في عداد من يأخذ عنه ولم يتحاشَ عن ذلك كله حتى إنه سمع مني بمكة جملة من تصانيفي وحضر عندي ما أمليته بها وسلك في صنيعه هذا مسلك الحفاظ الأئمة وصار كثير المسموع والمروي والشيوخ». اهـ. (الضوء اللامع ٦/١٢٨).

ونقل عنه الحافظ ابن حجر في ترجمة رتن من الإصابة (١/٥٣٦) ووصفه بأنه محدث كبير شريف من أهل البيت النبوي وأهل العلم بالحديث. اهـ.

قال السخاوي: ولو علم تلفته للأوصاف والثناء لما تخلف عن وصفه بالحافظ. اهـ.

وممن أثنى عليه ونقل عنه تقي الدين المقريزي وأحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشهير بابن أبي عذيبة في ترجمة والده فقال:

«الحافظ نجم الدين من أعيان فضلاء تلك البلاد وإليه المرجع في هذا الفن وهو ممن كتب عنه أيضاً». اهـ.

وذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ على أنه من المتكلمين في الرجال، وقال عنه في الضوء اللامع: «وأما أنا فاستفدت منه كثيراً

وسمعت منه في سنة خمسين وبعدها أشياء بل قرأت عليه في الطائف ومكة أشياء». اهـ.

وتخرّج به ولده عبد العزيز ابن فهد، وبه وبغيره عثمان الديمي.

وله مصنفات مفيدة منها «الدرّ الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» وهو ذيل على «العقد الثمين» للحافظ تقي الدين الفاسي، ذكر فيه من مات بعده ومن هو موجود في عصره من الأعيان واستدرك فيه جماعة على شرط الفاسي.

و «إتحاف الورى بأخبار أم القرى» وهو تاريخ مرتب على السنين من ولادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى زمنه، و «بذل الجهد فيمن سمي بفهد وابن فهد»، و «التبيين لتراجم الطبريين».

ورتّب أسماء تراجم الحلية والمدارك وتاريخ الأطباء وطبقات الحنابلة لابن رجب والحفاظ للذهبي والذيول عليه على حروف المعجم، و «نزهة العيون فيما تفرق من الفنون».

وجمع تراجم ست بيوت من بيوت مكة، وأفرد كل بيت منها في تصنيف، وخرج لنفسه معجماً مطبوعاً وآخر لأبيه وغيرها.

قال السخاوي: «واستمد الجماعة قديماً وحديثاً من فوائده وعوّلوا على اعتماده». اهـ.

وهو من المستمدين منه والمعوّلين على كتبه مع ملازمة الثناء عليه، وجمال الدين محمد بن ظهيرة القرشي ينقل عنه في كتابه «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف».

وعوّل عليه القطب النهروالي في كتابه «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» ويصفه بشيخ شيوخنا حافظ عصره.

ولم يزل على طريقته حتى مات في وقت الزوال من يوم الجمعة سابع رمضان سنة ٨٨٥ هـ بمكة المكرمة، رحمه الله تعالى رحمة الأبرار.

ترجم لنفسه في معجم شيوخه (ص ١٩١)، والسخاوي في الضوء اللامع (٦/١٢٦)، والشوكاني في البدر الطالع (١/٥١٢)، والسيد عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس (ص ٦٦٩)، وراغب الطباخ في إتحاف النبلاء.

٦ - قطب الدين الخيضري

محمد بن محمد بن عبدالله خيضر (بكسر الضاد) بن سليمان بن داود قطب الدين أبو الخير الخيضري الزبيدي (بالضم) الدمشقي الشافعي. العلامة البارع القاضي، الحافظ المفنن ذو التصانيف.

ولد بدمشق في منتصف رمضان سنة ٨٢١، ونشأ يتيماً في كفالة أمه.

حفظ القرآن صغيراً وصلى التراويح، ثم حفظ التنبيه وملحة الإعراب، وألفيتي الحديث والنحو ومختصر ابن الحاجب الأصولي، وحضر في الفقه دروس تقي الدين ابن قاضي شهبة، ويحيى القباني والبرهان ابن المرحل البعلي والعلاء ابن الصيرفي وانتفاعه عظم بالأخير لملازمته له أكثر من غيره، واشتغل في النحو على محمد البصروي والعلاء القابوني

وطلب الحديث على شيوخ بلده والقادمين إليها وتدرب في ذلك بحافظ الشام ابن ناصرالدين الدمشقي وبه تخرج، وأخذ عن برهان الدين الحلبي الحافظ وانتفع بملازمة النجم بن فهد المكي، وأكثر من القراءة والسماع وأجازه عدد من المسندين، وزاد عدد شيوخه بالشام على المائتين.

ودخل القاهرة مراراً ولازم الحافظ ابن حجر أتم ملازمة فتخرج به وأخذ عنه جملة من تصانيفه وغيرها. وقرأ عليه من تصانيفه: تعجيل المنفعة، وتغليق التعليق، والإصابة بعد أن كتبها بخطه.

وقرأ بالقاهرة أيضاً على تقي الدين المقريزي وابن الفرات والمحب بن نصرالله.

وله مشايخ آخرون في البلاد التي دخلها كالحرمين الشريفين والقدس وغيرها، وله «الرقي المعلم في ترتيب الشيوخ بالسماع والإجازة على حروف المعجم».

ترجمه الحافظ في إنباء الغمر ووصفه بالفاضل البارع، وأنه سمع الكثير، وكتب كتباً كثيرة وأجزاء، وجدَّ وحصَّل في مدة لطيفة شيئاً كثيراً، وخطه مليح وفهمه جيد، ومحاضراته تدل على كثرة استحضاره، ووصفه بالحفظ بعد ذلك

وممن وصفه بالحفظ من معاصريه البقاعي والسيوطي ويوسف بن شاهين سبط ابن حجر وقال في مدحه كما في الضوء (١٠/٣١٤):

لتهن بك العلياء يا قطب عصره ... ويا حافظاً حاز الفخار بأسره
ويا مفرداً في وقتنا بذكائه ... فدم في أمانٍ بالهناء ونصره

وصنف التصانيف الحسنة منها:

«الهمع الألمعية لأعيان الشافعية»، جعله على الحروف وجرّد فيه حواشي الحافظ ابن حجر على طبقات السبكي الوسطىٰ، وضم له ما اختصره من الطبقات الكبرى مع زيادات التقطها من تاريخ نيسابور للحاكم والذيل عليه لعبدالغافر الفارسي وتاريخ مصر لقطب الدين الحلبي، وتاريخ بخارى لغنجار وتاريخ أصبهان لأبي نعيم وغير ذلك مما يفوق الوصف.

ومنها: «البرق اللموع لكشف الحديث الموضوع»، لخص فيه موضوعات ابن الجوزي وزاد على ذلك مناقشات لابن الجوزي التقط بعضها من نسخة الموضوعات لشيخه الحافظ ابن حجر.

ومنها «الاكتساب في تلخيص الأنساب» لخص فيه الأنساب لابن السمعاني وضم عليه زيادات وقعت له.

وجرد من فتح الباري أسئلة مع الأجوبة في كتاب سماه «المنهل الجاري من فتح الباري بشرح البخاري».

ومنها «صعود المراقي شرح ألفية العراقي»، و«الصفا بتحرير الشفا»، و«مجمع العشاق على توضيح تنبيه الشيخ أبي إسحاق»، و«اللواء المعلم في مواطن الصلاة على النبي ﷺ». و«الخصائص النبوية»، و«زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض» على الإمام الشافعي رضي الله عنه حيث أوجب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير. وخرّج من مرويات أسماء ابنة المهرواني ثلاثين حديثاً عن شيوخها.

ولي قضاء الشافعية ومشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق وأملى بها، وكذا حدث بغيرها ودرس ووعظ وخطب وولي بعض مدارس الشام، وتلمذ له جماعة من أعيان عصره منهم محمد بن أبي بكر المشهدي، وحسن الحصكفي، والشمس محمد الدلجي، وأحمد بن يوسف الباعوني، ويحيى التادفي الحنبلي وغيرهم.

وكان ذا يسار ووجاهة مقبلاً على فعل الخيرات والتوجه لطلبة العلم والفقراء، فبنى بجانب بيته في القاهرة مدرسة وجدد مدارس أخرى، وبنى بالقرافة عند باب مقام الإمام الشافعي رضي الله عنه محلاً للصوفية وقرر شيخاً عليهم.

توفي رحمه الله تعالى في ربيع الآخر سنة ٨٩٤ بالقاهرة ودفن في المحل الذي بناه عند الشافعي.

ترجمه الحافظ السخاوي في الضوء اللامع (٩/١١٧ ـ ١٢٤)

ورغم طول الترجمة إلا أنه حشاها بالثلب والتنقيص للخيضري ولمصنفاته كعادته في المشاهير من معاصريه.

وذيل العلامة الشوكاني ترجمة الخيضري في البدر الطالع (٢/٢٤٥ - ٢٤٦) بقوله: ترجمه السخاوي ترجمة طويلة كلها ثلب وشتم كعادته في أقرانه، ومن أعجب ما رأيته فيها من التعصب أنه قدح في مؤلفات المترجم له ثم قال: إنه ما رآها، وهذا غريب، ولكنه قد أبان العلة في آخر الترجمة فقال: وبالجملة فهو ممن فيه رائحة الفن، بل هو من قدماء الأصحاب، وأحد العشرة الذين ذكرهم شيخنا - يعني ابن حجر - في وصيته. اهـ.

وترجمه - غير السخاوي الشوكاني -، السيوطي في نظم العقيان (ص ١٦٢). والقِنوجي في التاج المكلل (ص ٤٣٩).

٧ - سبط ابن حجر

يوسف بن شاهين بن أحمد بن أبي بكر العلائي قطلوبغا الكركي القاهري الحنفي ثم الشافعي جمال الدين أبو المحاسن سبط شيخ الإسلام الحافظ أبي الفضل ابن حجر العسقلاني.

ولد سنة ثمان وعشرين وثمانمائة في ليلة الاثنين ثامن ربيع النبوي بالقاهرة.

سمع الحديث على جده كثيراً وممن قرأه عليه بمشاهدة الحافظ السخاوي التقريب، والأمالي، والبخاري وقابل عليه أشياء من تصانيفه، وتردد على مسندي عصره في مصر والشام، وانتقى وخرج وانتفع بتصانيف جده وتولى تدريس الحديث بعدة أماكن.

وكان أبوه مقرباً عند السلطان المؤيد شيخ فلما مات ساءت حالته ثم توفيت زوجته فربّي صاحب الترجمة عند جده الحافظ ابن حجر، وكان متزيياً بزي الأجناد متمذهباً بالمذهب الحنفي، وفي سنة ثمان وأربعين حج فلما رجع تحول شافعياً وأقبل على الاشتغال بعلم الحديث وكتابة مصنفات جده وسماعها عليه، وحصل له من ذلك الكثير وأكب على سماع الأجزاء والكتب وسعى لتحصيل العوالي فسمع ابن الفرات وكثيراً من أكابر المشايخ بمصر والشام، ففتح عليه وبرع في مدة يسيرة مع الاشتغال بغير ذلك من العلم، وصيانة النفس ثم استأذن السلطان في التزّي بزي الفقهاء فأذن له فزاده ذلك خيراً مع الدين والعفة.

وولي تدريس الحديث في عدة أماكن وطار ذكره في الآفاق وتناقلت مؤلفاته الرفاق منها: أتم ترتيب جده لطبقات الحفاظ للذهبي وسماه «رونق الألفاظ لمعجم الحفاظ»، وعمل حاشية على تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لجده، وله غير ذلك «تعريف القدر بليلة القدر»، وشرح المنتخب في علوم الحديث للعلاء التركماني، وتخريج أحاديث الرسالة. «ومنحة الكرام بشرح بلوغ المرام» و«المجمع النفيس بمعجم أتباع ابن إدريس» في أربعة مجلدات، و«الفوائد الوفية بترتيب طبقات الصوفية»، و«النجوم الزاهرة بأخبار قضاة ومصر والقاهرة»، وعمل جزءاً جرّد فيه أسماء شيوخه الذين أجازوا له، و«بيان الصناعة بعشرة من أصحاب ابن جماعة» و«تجريد رباعيات سنن الترمذي»، وخرّج لنفسه المتباينات والمعجم والفهرست ومعاجم لبعض شيوخه وغير ذلك.

ترجمه السخاوي في الضوء (١٣/٣١٣ - ٣١٧) ترجمة مطولة لكنها سيئة للغاية. لكن أثنى عليه من معاصريه جماعة، وترجمه البقاعي في المعجم ترجمة حسنة، وأثنى عليه الحافظ السيوطي ووصفه بالحفظ فقال في تدريب الراوي (٢/٤٠٥): ورأيت في تذكرة صاحبنا الحافظ جمال الدين سبط ابن حجر.. إلخ.

وقال الشوكاني في البدر الطالع (٢/٣٥٥) بعد أن ذكر بعضاً من مصنفاته ما نصه: وقد طار ذكره في الآفاق، وتناقلت مؤلفاته الرفاق، وأما السخاوي في الضوء اللامع فجرى على قاعدته المألوفة في معاصريه وأقرانه، فترجم صاحب الترجمة بما هو محض السباب والانتقاص، لا لسبب يوجب ذلك بل لمجرد كونه كان يعترض على جده الحافظ ابن حجر، أو يغلط في بعض الأحيان كما هو شأن البشر. اهـ.

والعجب من السيد عبدالحي الكتاني فإنه قال في ترجمة المترجم له في فهرس الفهارس (٢/ ١١٤٠): وبكل أسف إنا لا نحفظ للمترجم وفاة ولا ترجمة، ولا ذكر في شيء من مصنفات المتأخرين غير اسمه الذي يتردد كثيراً في السماعات والطباق بكثرة. اهـ.

توفي في يوم الأربعاء سادس عشر محرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة رحمه الله تعالى.

ترجمة السخاوي في الضوء اللامع (١٠/ ٣١٣)، والسيوطي في نظم العقيان (ص ١٧٩)، والشوكاني في البدر الطالع (٢/ ٣٣٥)، والكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ٤٥١).

٨ - إبراهيم الناجي الحلبي

إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر برهان الدين أبو إسحاق، الشيخ المعمر الحافظ الواعظ الحلبي الأصل الدمشقي القبيباتي الشافعي، ويعرف بالناجي لكونه كان حنبلياً ثم تشفع.

ولد بدمشق سنة ٨١٠.

أخذ الحديث عن الحافظ ابن حجر وحافظ الشام ابن ناصرالدين الدمشقي والفخر عثمان بن الصَلِف وسمع على الشهاب أحمد بن حسن بن عبدالهادي والزين عبدالرحمٰن ابن الشيخ خليل والعلاء بن بردس ومما سمعه عليه الشمائل والسنن لأبي داود والترمذي.

اختص بالحديث وأقبل عليه بكليته حتى برع فيه وفاق أقرانه.

قال السخاوي (١/١٦٦): والثناء عليه مستفيض ووصفه الخيضري بأنه شيخ عالم فاضل محدث محرر متقن معتمد خدم هذا الشأن بلسانه وقلمه وطالع كثيراً من كتبه. اهـ.

ووصفه السيوطي في نظم العقيان (ص ٢٧) بأنه محدث دمشق، وفي الدرة التاجية على الأسئلة الناجية (الحاوي ٢/٤٦) وصفه السيوطي أيضاً بأنه محدث دمشق ثم ذكر أثناء الدرة التاجية (الحاوي ٢/٥١) بأنه لم يكن له من الحفظ نصيب...!.

وكانت نفرة قد حدثت بينه وبين السيوطي بسبب اعتراض المترجَم على السيوطي في أبيات له في ألفية الحديث، وسبب آخر

هو أن المترجم كان يرى أن حديث إحياء المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لأبويه موضوعاً خلافاً للسيوطي، وقد ذكر السيوطي هذين الاعتراضين في نظم العقيان (ص ٢٧) وكلام السيوطي في المترجم من باب ما يجري بين المتعاصرين عادة، وإلا فالرجل قد وصف بالحفظ من أعيان شهوده فوصف الخيضري له تقدم أعلاه.

وقال أبو البركات ابن الكيال في الكواكب النيرات (ص ٤٥١) في وصفه بأنه: شيخ الإسلام والمسلمين، حافظ العصر، وأمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي الكواكب السائرة (١/ ٤٣) وشذرات الذهب (٨/ ١٩٥) قال شيخ الإسلام كمال الدين بن حمزة الحسيني: هذه المحلة خصها الله تعالى بثلاثة أئمة كل منهم انفرد بفن لا يشارك فيه الشيخ إبراهيم الناجي بعلم الحديث... اهـ. ووصفه الغزي في كواكبه بالحفظ (٢/ ٦).

ومن مصنفاته كتابه الشهير «عجالة الإملاء المتيسرة من التذنيب على ما وقع للحافظ المنذري من الوهم وغيره في كتابه الترغيب والترهيب» في مجلد ضخم وهو كتاب دل على معرفة تامة وإتقان للحديث، نبه فيه على أوهام وقعت للحافظ المنذري في الترغيب والترهيب، وله غير العجالة، «كنز الراغبين العفاة في الرمز إلى المولد النبوي والوفاة»، وجواب عن الناسخ والمنسوخ هل يمكن جمعه؟، والخصال المكفرة لما تقدم وتأخر.

تخرج به جماعة كانت لهم مشاركة في الحديث كالشيخ عبدالقادر بن محمد النعيمي الشافعي صاحب «الدارس في تاريخ المدارس»، وأبي البركات ابن الكيال صاحب «الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات».

توفي بدمشق سنة ٩٠٠ رحمه الله تعالى.

ترجمة السخاوي في الضوء (١/١٦٦)، والسيوطي في نظم العقيان (ص ٢٧)، وابن العماد في شذرات الذهب (٧/٣٦٥)، والكتاني في فهرس الفهارس (٢/٦٦٨).

٩ ـ شمس الدين السخاوي

محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد شمس الدين أبو الخير وأبو عبدالله السخاوي الشافعي الشيخ الإمام العلامة الحافظ المؤرخ النفاعة العلم.

ولد بالقاهرة في ربيع النبوي سنة ٨٣١.

حفظ القرآن العظيم صغيراً وأمّ به الناس في رمضان بزاوية لأبي أمه الشيخ شمس الدين العدوي المالكي، ثم حفظ عمدة الأحكام والتنبيه والمنهاج الأصلي وألفية ابن مالك والنخبة وألفية العراقي وغالب الشاطبية. وكلما انتهى حفظه لكتاب عرضه على شيوخ عصره فكان من جملة من عرض عليه المحب ابن نصرالله البغدادي الحنبلي، والشمس ابن عمار المالكي، والنور التلواني.

وقرأ على أكابر شيوخ العلم بمصر، فقرأ على البرهان ابن خضر غالب شرح الألفية لابن عقيل، وسمع منه الكثير من توضيحها لابن هشام، كما قرأ النحو أيضاً على أوحد النحاة الشهاب أبي العباس الحناوي، وتدرب بهذين الشيخين في صناعة الإعراب، فأعرب على ابن خضر من سورة الأعلى إلى الناس من القرآن الكريم وأعرب على الثاني مواضع من صحيح البخاري، وأخذ العربية أيضاً عن الشهاب المغربي، والجمال ابن هشام الحنبلي حفيد سيبويه وقته النحوي الشهير وغيرهما.

وفي الفقه قرأ التنبيه على البرهان ابن خضر والشمس الشنشي، وحضر عند الشمس الونائي دروسه الطنانة في الروضة للإمام النووي، وعند العلم صالح البلقيني حضر جملة من الروضة وحضر تقسيم البهجة عند الشرف المناوي، والمهذب عند الزين البوتيجي، وأخذ طرفاً من الفرائض والحساب والمنهاج والميقات عن الشهاب ابن المجدي، وقرأ الأصول على الكمال ابن إمام الكاملية، وحضر دروس الإمام التقي الشمني الحنفي في الأصلين والمعاني والبيان والتفسير، كما قرأ عليه شرحه لنظم والده للنخبة مع شرح أبيه لها.

وقرأ شرح ألفية العراقي على العلامة قاسم بن قطلوبغا الحنفي، وأخذ قطعة من القاموس في اللغة تحريراً وإتقاناً على المحب ابن الشحنة، وقرأ كثيراً من التفسير عند السعد ابن الديري، وأخذ التصوف عن المحيوي حفيد الجمال يوسف العجمي ولبس منه الخرقة ولقنه الذكر كما أخذ عن أبي محمد الأشمومي، وابن الهمام الحنفي، وأبي القاسم النويري، والعلاء القلقشندي، والجلال المحلي، والمحب الأقصرائي.

واجتمع بكثير من الأكابر وأذن له غير واحد منهم بالإفتاء والتدريس والإملاء.

وكان في مقدمة مشايخه: الحافظ الإمام شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني، فهو أجلّ شيوخه وأعظمهم فيه أثراً، وقد لازمه من صغره وهو ابن سبع سنين، وأوقع الله تعالى في قلبه محبته فلازم مجلسه وعادت عليه بركته في هذا الشأن، وما تخلف عن حضور مجالسه حضراً ولا سفراً ليلاً ولا نهاراً، وأقبل عليه بكليته إقبالاً يزيد على الوصف لأخذ الحديث عنه، وتقلل مما عدا الحديث من العلوم لقول الخطيب: إن علم الحديث لا يعلق إلا بمن قصر نفسه عليه،

ولم يضم غيره من الفنون إليه. ولقول إمامنا الشافعي لبعض أصحابه: أتريد أن تجمع بين الفقه والحديث؟... هيهات.

فداوم الملازمة لشيخه ابن حجر، حتى حمل عنه علماً جماً واختص به كثيراً بحيث كان من أكثر الآخذين عنه، وأعانه على ذلك قرب منزله منه، فكان لا يفوته مما يقرأ إلا النادر. قرأ عليه الاصطلاح بتمامه، والألفية وشرحها مراراً، وعلوم الحديث لابن الصلاح إلا اليسير من أوائله. وسمع منه جل كتبه وأكثر تصانيفه في الرجال مثل التقريب، وثلاثة أرباع تهذيب التهذيب ومعظم تعجيل المنفعة ولسان الميزان بتمامه ومشتبه النسبة وتخريج الرافعي وتلخيص مسند الفردوس وهدي الساري وبذل الماعون ومناقب الشافعي والأمالي الحلبية والدمشقية وغالب فتح الباري وتخريج المصابيح وتخريج ابن الحاجب الأصلي، وبعض إتحاف المهرة، وتغليق التعليق وغيرها.

وقرأ بنفسه العديد من مصنفات شيخه، وأذن له في الإقراء والإفادة والتصنيف، وتدرب وتخرج به، وكانت ملازمته له قوية حتى إنه لم يرحل ولا حج إلا بعد وفاته.

وبعد وفاة شيخه سافر إلى أطراف مصر التي كانت غزيرة بالمسندين، ودخل العديد من مدن الشام والحرمين الشريفين فقرأ المقروءات الكثيرة وحصَّل محاسن الكتب والأجزاء والفوائد.

وأجاز له خلق باستدعائه واستدعاء بعض مشايخه، واجتمع له من المرويات بالسماع والقراءة ما يفوق الوصف.

وحج عدة مرات وجاور وأملى بالقاهرة ستمائة مجلس أكمل فيها تخريج شيخه الحافظ ابن حجر للأذكار سماه «القول البار»، ثم أملى تخريج أربعين النووي وتزاحم الناس على إملائه وحضره الكبار أمثال

شيخه النجم ابن فهد الحافظ ولازمه الناس للاستفادة منه في منزله للقراءة دراية ورواية في تصانيفه وغيرها.

وكان قد شرع في التصنيف قبل وفاة شيخه الحافظ ابن حجر، ومما صنفه في الحديث وعلومه: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، والغاية شرح منظومة الهداية لابن الجزري، والإيضاح في شرح نظم العراقي للاقتراح، وشرح التقريب للنووي الأربعة في الاصطلاح، والمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة وهو أجمع كتاب في بابه، وتخريج أربعين الصوفية للسلمي، والتحفة المنيفة فيما وقع له من حديث الإمام أبي حنيفة، والجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة وعمل كثيراً من المشيخات والأربعينات، وترتيب شيوخ الطبراني، وبلوغ الأمل في تلخيص العلل للدارقطني، وعمدة الأصحاب في معرفة الألقاب، والقول المفيد في إيضاح شرح العمدة لابن دقيق العيد، وأقرب الوسائل في شرح الشمائل للترمذي، ونظم اللآل في حديث الأبدال، وغير ذلك من الكتب المفيدة المحررة الحافلة.

أما التاريخ فكان له اليد الطولى فيه، وله فيه مصنفات متعددة من أشهرها: كتابه الكبير «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، وفي هذا الكتاب يقول الشوكاني: لو لم يكن له من التصانيف إلا الضوء اللامع لكان أعظم دليل على إمامته. اهـ.

وهو لا يكاد يترجم لعالم مشهور في عصره ـ عدا الحافظ ابن حجر ـ إلا وينقده، وفي نقده تبدو بعض الفوائد، وهو يبدو في أحيان كثيرة من حملاته قوياً شديد الوطأة غير أنه وفي أحيان أخرى تعوزه الحجة.

وذَيَّلَ على قضاة مصر لشيخه الحافظ ابن حجر وعلى طبقات

القراء لابن الجزري، وعمل ترجمة حافلة وممتعة لشيخه سماها «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»، وأخرى للإمام النووي سماها «المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي»، وثالثة للكمال ابن الهمام هي «الِاهتمام بترجمة الكمال ابن الهمام».

ومن أحسن مصنفاته في التاريخ كتابه النافع «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ».

وله غير ذلك من المصنفات، وقد غدت زهاء ٢٠٠ كتاب، يكثر فيها قنص الشوارد، وإيراد الفوائد الفرائد ذكرها في ترجمته الحافلة لنفسه بالضوء اللامع.

انتهت إليه رئاسة علم الحديث بله علم التاريخ، ولم يخلف شيخه الحافظ ابن حجر بعده مثل المترجم، وكان كثير الثناء عليه ولكن اشتغاله بالتاريخ أثر بالسلب على اشتغاله بالحديث فكتبه الحديثية أقل من مكانته الكبيرة في الحديث.

وصفه بالحفظ أعيان عصره من مشايخه وأقرانه منهم:

الزين قاسم بن قطلوبغا الحنفي، والتقي ابن فهد وولده عمر بن فهد، ورضوان العقبي المستملي والتقي القلقشندي وغيرهم.

ورغم ذلك فإن السيوطي وصفه في نظم العقيان «بالمحدث المؤرخ الجارح» وترجمه ترجمة لا تليق به وذلك بسبب منافسة بين المترجم والسيوطي وكان بينهما ما يكون بين المتعاصرين وكلاهما قد أفاد وأجاد وخدم العلم فللَّهِ درّهما.

توفي السخاوي بالمدينة المنورة في يوم الأحد الثامن والعشرين

من شهر شعبان سنة ٩٠٢ ودفن بالبقيع بجوار الإمام مالك. رحمه الله تعالى وجزاه أفضل الجزاء وأحسنه.

ترجمه السيوطي في نظم العقيان (ص ١٥٢)، والعيدروس في النور السافر (ص ١٦)، والغزي في الكواكب السائرة (٥٣/١)، وابن العماد في شذرات الذهب (١٥/٨)، والشوكاني في البدر الطالع (١٨٤/٢).

وترجم لنفسه على عادة المحدثين في الضوء اللامع (٢/٨ - ٣٢) ترجمة حافلة وذكر مقروءاته على شيخه الحافظ ابن حجر في التبر المسبوك في ذيل السلوك (ص ٢٣٢).

١٠ ـ عثمان بن محمد الديمي

عثمان بن محمد بن عثمان بن ناصر فخرالدين أبو عمرو الديمي القاهري الأزهري الشافعي الشيخ العلامة الحافظ المفيد الشافعي الشهير بالديمي بالمهملة المكسورة ثم تحتانية مفتوحة بعدها ميم فياء نسبة إلى بلد والده: ديمة بالغربية بمصر، ولد سنة ٨٢١ وحفظ القرآن الكريم عند الفقيه أبو بكر بن البواب البانوبي نزيل ديمة وآخرين ثم اشتغل بالحرث والزرع.

فلما كانت سنة ٨٤٢ ـ وكان قد جاوز العشرين ـ انتقل للقاهرة وجاور بالأزهر وجوّد القرآن وأعاد حفظه وحفظ بعض المتون المتداولة فممن حفظه العمدة وألفيتي الحديث والنحو والمنهاجين الأصلي والفرعي ثم شرع في القراءة على شيوخ عصره في القراءات والفقه الشافعي والعربية أما الحديث فلازم الشهاب الهيتي وأكثر معه من مطالعة صحيح مسلم بشرح النووي والإكمال لابن ماكولا فعلق بذهنه الشيء الكثير منها وكان يسرد بعضاً من الإكمال لابن ماكولا وقرىء نصف البخاري على محمد بن عمر الدنجيهي الأزهري وقرأ جميع البخاري على البرهان إبراهيم بن فتح الله الحنبلي الصالحي، وجميع مسلم على الشمس محمد الرشيدي. وسمع شيئاً كثيراً من النور التلواني وأكثر من القراءة جداً على الرشيدي، والصالحي المذكورين حتى كاد أن يستوفي مسموعاتهما وزاد على ذلك أن قرىء على الصالحي مسند الإمام أحمد بتمامه وكذا قرأ على سارة ابنة ابن

جماعة، والزين رضوان العقبي مفيد القاهرة ومجير الدين ابن الذهبي الدمشقي وآخرين ثم هو مع ذلك كان من الملازمين للحافظ ابن حجر العسقلاني والمستفيدين منه فممن قرأه عليه مسند الشهاب وغالب سنن النسائي وحضر شيئاً من دروسه في المصطلح.

وحج في سنة ٨٥٣ وفي المدينة المنورة أخذ عن المحب الطبري وأبي الفرج الكازروني وعبدالوهاب بن محمد بن صلح والجمال التستري وسمع الشفا من لفظ البدر البغدادي وقرأ صحيح البخاري بتمامه في الروضة الشريفة في أربعة أيام وأخذ بمكة عن الحافظ تقي الدين ابن فهد القرشي وأبي الفتح المراغي وإبراهيم الزمزمي وعندما كان بالقاهرة وكان قد برع في معرفة الرجال واشتهر بذلك بين المجاورين.

عين لإسماع الحديث بمقام السيد البدوي بطنطا وتولى مشيخة الحديث وغيرها في عدة أماكن وأخذ عنه عدد وافر منهم البرهان ابن عون وأبو الفرج فخرالحلبي والشيخ المفسر شمس الدين الداودي وازدحم عليه الطلاب وصار له ذكر عند الخاص والعام.

ووصفه بالحفظ غير واحد من الفضلاء وهو أحد الذين أوصى إليهم الحافظ ابن حجر ووصفهم بأنهم من أهل الحديث.

وكان يتشيع للحافظ السيوطي في نزاعه مع السخاوي وهو الذي عناه السيوطي بقوله:

قل للسخاوي إن تعروك نائبة   علمي كبحر من الأمواج ملتطم
والحافظ الديمي غيث الزمان فخذ   غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

وكان السيوطي يعترف له بتقدمه في الرجال وأنه يسرد عشرين ألف حديث.

ومع ذلك فلم ينج الرجل من قلم السخاوي فقال في الضوء اللامع (١٤٢/٥): وبالجملة فهو مستحضر لجملة من مشاهير الرجال وكذا المتون مع كثير من الغريب والمهم ولكنه مع كونه لم يوجه لجمع ولا تأليف بعيد عن الوصف بالمحدث فضلاً عن الحفظ الاصطلاحي. اهـ.

قلت: كلام الأقران غير مقبول إذا ظهر عليه أثر التنافس والمعاصرة كما قالوا وقد مر أن الديمي كان يتشيع للسيوطي، ثم كون الرجل لم يتعاطَ التصنيف لا يضره فإنهم ما شرطوا للوصف بالحفظ أن يكون مصنفاً مع عدم إغفال فوائد التصنيف للمصنف.

نعم قال السخاوي إنه وصف المترجم بالحافظ في بعض الطباق فأصلحه الحافظ ابن حجر إلى الفاضل قلت: أصلح الحافظ ذلك ولم يكن المترجم قد بلغ حد الوصف بالحافظ وقد عاش بعد شيخه الحافظ ابن حجر أكثر من نصف قرن فلا يبعد أن يصل لهذه المرتبة وقد وصفه بالحفظ جماعة غير السيوطي من معاصريه وممن أتى بعده.

توفي المترجم في سنة ٩٠١/١ رحمه الله تعالى.

ترجمه السخاوي في الضوء اللامع (٥/ ١٤٠ - ١٤٢)، والنجم الغزي في الكواكب السائرة (١/ ٢٥٩)، والعيدروس في النور السافر (ص ٤٨)، والكتاني في فهرس الفهارس (ص ٤٠٩).

١١ - جلال الدين السيوطي

أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمٰن بن كمال الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد ابن الشيخ الخيضري، الشيخ الإمام والعامل الهمام الحافظ، فخر المتأخرين وعمدة المصنفين ومحط رحال الطالبين، البحر الذي لا تنزفه الدلاء السيوطي المصري الشافعي.

ولد ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة. ووالده كان عالماً صاحب فنون ومصنفات، أمر والدة صاحب الترجمة أن تأتيه بكتاب من بين كتبه فذهبت لتأتي به فجاءها المخاض وهي بين الكتب فوضعته، ولذلك كان يلقب الحافظ السيوطي بابن الكتب.

مات أبوه وهو ابن ست سنين فكان كمال الدين بن الهمام وصياً عليه مع غيره فلحظه بنظره وختم القرآن وسنّه دون ثمان سنين.

تتلمذ السيوطي على أعلام عصره فأخذ عن محيي الدين الكافيجي، ومحمد بن سعد خليل المرزباني، وجلال الدين الملحي، وعلم الدين البلقيني، وتقي الدين الشبلي، وشرف الدين المناوي، وشهاب الدين الشارمساحي وغيرهم.

وكان والده قد أحضره وعمره ثلاث سنين مجلس شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر، وحضر وهو صغير مجلس الشيخ المحدث

زين الدين رضوان العقبي، ودرس الشيخ سراج الدين عمر بن الوردي.

وبلغ مشايخه في الرواية سماعاً وإجازة نحو مائة وخمسين على ما في حسن المحاضرة، وقد ترجمهم السيوطي في معجمه الكبير «حاطب ليل وجارف سيل» وبعضهم مترجم في نظم العقيان.

وحج سنة تسع وستين وثمانمائة وشرب من ماء زمزم لأمور منها أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر.

أوتي السيوطي ذاكرة قوية، وعقل ضابط منظم، وذهن وقاد، مع نشاط وقدرة ومثابرة على القراءة، ويقول عن نفسه في «تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المائة»:

«وبعد فإني رجل حبب إليّ العلم، والنظر في دقيقه وجليله، واغوص على حقائقه والتطلع إلى إدراك دقائقه، والفحص عن أصوله، وجبلت على ذلك، فليس فيّ منبت شعرة إلا وهي ممحونة بذلك، وقد أوذيت على ذلك أذى كثيراً من الجاهلين والقاصرين، وذلك سنة الله في العلماء السالفين فلم يزالوا مبتلين بإسقاط الخلق وأراذلهم، وبمن هو من طائفتهم ممن لم يرق إلى محلهم. اهـ. (مكتبة الجلال السيوطي ص ١٣٨).

اشتغل السيوطي بالتصنيف قبل أن يكمل الخامسة عشرة، فبلغت عدد مصنفاته سبعمائة وخمسة وعشرين[١] فيما بين كتاب في

---

(١) هذا العدد مأخوذ من كتاب «مكتبة الجلال السيوطي» وهو سجل حافل يجمع ويصف مؤلفات السيوطي بعد أن رتبها على حروف المعجم مبيناً أماكن وجودها ويميز المطبوع من المخطوط والكتاب من عمل الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال، وقد أجاد فيه وأفاد فجزاه الله خيراً.

مجلدات إلى جزء صغير أو رسالة في ثلاث ورقات، وكان تلميذه الشمس الداودي المالكي قد استقصى مصنفاته فزادت على خمسمائة مصنف.

حاول جمع الأحاديث النبوية في «الجامع الكبير» وهي مكرمة ادخرها الله سبحانه وتعالى للسيوطي كما يقول المقبلي اليماني في العلم الشامخ.

وكتابيه الجامع الصغير مع زيادته كرع واستفاد منهما كل من اشتغل بالحديث من عصر السيوطي إلى وقتنا.

والدر المنثور في التفسير بالمأثور لم يصنف مثله ولا يستغن عنه مفسر أو محدث.

ومجموعته في الموضوعات اللآليء، وذيله، والتعقبات، والنكت البديعات، والقول الحسن لم يصنف مثلها ولا قارب في بابه وهي أيضاً مما منَّ الله تعالى به على السيوطي بعد أن كان كتاب ابن الجوزي مستحكماً ومغلقاً ففتح الباب وأزال الصعاب وأصبح الاغتراف من هذه المجموعة سهلاً ميسوراً، وكل من كتب في الموضوعات استمدَّ منه، ونظرة عابرة في كتب ابن عراق، والفتني والقاري والشوكاني وغيرهم في الموضوعات تجد أنها للسيوطي وليس لهم إلا التلخيص أو الترتيب أو التقريب، بل لك أن تقول: إن سدى تلك الكتب ولحمتها مجموعة السيوطي، ولو لم يصنف السيوطي غيرها لكفاه ذلك.

وألفيته في الحديث ـ وقد نظمها في خمسة أيام ـ مع تدريب الراوي لهما شأن عظيم في المصطلح.

وحواشيه على الكتب العشرة قد استفاد الناس منها في السابق واللاحق واختصر حواشيه على الكتب الستة السيد علي بن سليمان

البجمعوي المغربي المتوفى سنة ١٣٠٦ رحمه الله تعالى وهي مطبوعة.

وخرج أحاديث الكفاية في الفقه الشافعي، والدرة الفاخرة للغزالي، وشرح العقائد النسفية وشرح المواقف، والصحاح للجوهري، والشفا للقاضي عياض، والشرح الكبير للرافعي.

ومن كتبه الحديثية المتداولة إسعاف المبطأ برجال الموطأ، وأحاديث القصاص، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، والأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة، ومسانيد الخلفاء الثلاثة وغيرها، وله عشرات الأجزاء الحديثية في مواضع شتى بعضها في الحاوي والبعض الآخر لا زال مخطوطاً، وشهرتها تغنينا عن ذكرها هنا.

وقال عن نفسه متحدثاً بنعمة الله: «ورزقت التبحر في سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان والبديع، على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة، والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد أشياخي فضلاً عمن هو دونهم. اهـ».

وادعى الاجتهاد ـ وهو أهل له وليس عنه ببعيد وكان عنده آلاته ـ وأنه مجدد القرن العاشر، وحصلت جفوة بينه وبين معاصريه خاصة الحافظ السخاوي، ولا يقبل كلام كل منهما في الآخر لأنهما متعاصران.

وقد عاب جماعة مصنفات السيوطي، وذكروا أن الغالب في مصنفاته تلخيص كتب الآخرين، وأنها كثيرة التصحيف والتحريف، وأنه استبد بالأخذ من بطون الدفاتر والكتب... إلخ.

وقد أجاد الأستاذ الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف رحمه الله تعالى في مقدمة تدريب الراوي (١/١٧ ـ ٢٩) تفنيد مقالات خصومه.

والحق يقال: إن السيوطي كان أحفظ من السخاوي ومن كثير من الحفاظ الذي تقدموه لكن قلة إتقانه وكثرة تساهله جعلته دونهم عند منتقديه، وكان مكثراً وصاحب فنون.

ولما صنف الجامع الصغير والخصائص الكبرى أدعى عدم وجود الموضوع فيهما لكن الواقع يخالف الدعوى بل وقع في الجامع الصغير أحاديث حكم هو عليها بالوضع في ذيل اللآلىء نبه على ذلك السيد أحمد ابن الصديق في «المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير».

وممن أجاد في الرد على خصوم السيوطي مع إنصاف واعتدال شيخنا العلامة المحدث المحقق الجليل السيد عبدالله بن الصديق فإنه قال رداً على من اتهم السيوطي بتلخيص كتب المتقدمين وأنه كان لا يتقن إلا علم العربية قال: «وهذا غلو في التعصب ضده، وإفراط في الحمل عليه، والحقيقة أنه - مع تفوقه في علم العربية - برز في علوم أخرى كالبلاغة والتفسير والأصول والفقه الشافعي والحديث، وشارك مشاركة جيدة في القراءات والتاريخ والرجال وفقه الحديث.

وما لخصه من كتب المتقدمين يدل على فهمه لها وحسن تصرفه فيها مع ما يضمه إليها من زوائد استفادها من سعة اطلاعه وكثرة بحثه، لكن يعاب عليه ذكره لأحاديث واهية أو أقوال ساقطة تنسب لصحابي أو تابعي أو إمام ولا ينبه عليها، فيظنها الجاهل صحيحة ويتخذها الجاحد حجة للطعن والغمز، وإن اعتذر معتذرون عن الطبراني وأبي الشيخ وأبي نعيم في روايتهم للأحاديث الموضوعة غير مبينين وضعها، بأنهم حيث ذكروا إسنادها أحالوا عليه وبرئوا من عهدتها، فكيف يعتذر عن السيوطي وهو لا يذكر الإسناد، بل هو ملزم ببيان رتبة ما يذكره من أحاديث وآثار لأن من حذف الإسناد، تعهد

بالصحة؛ لا نجد ما يعتذر به عنه إلا أنه من قبيل السهو والغفلة، أو أنه قدر في نفسه أن قراء كتبه لا بد أن يكون عندهم من العلم ما يميزون به بين الثابت والواهي وبين الصحيح والساقط، أما أن يكون قصده فلا، لأن دينه وخلقه لا يسمحان به». اهـ. (الإحسان في تعقب الإتقان ص ٣ - ٤).

وكتب السيوطي استفاد منها الناس وله أياد بيض على أهل العلم في شتى العلوم الشرعية فلا تخلو مكتبة خاصة أو عامة من كتبه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وبالجملة فهو نادر المثال من عدة جوانب وكتبه توجهت الأنظار إليها من معاصريه إلى وقتنا هذا وإذا ضربت مثلاً بالجامع الصغير تحققت الدعوى وعلمت صدقها فقد شرح الكتاب عدد من الأفاضل ورُتِبَ على أبواب الفقه وتكلم عليه من حيث الصناعة الحديثية المناوي في شرحيه فيض القدير والتيسير، وأحسن ما كتب عليه في الصناعة كتاب «المداوي لعلل المناوي» في ستة مجلدات للسيد أحمد بن الصدِّيق الغماري.

تولى مشيخة الحديث بالشيخونية، ومشيخة التصوف بتربة برقوق، وتولى مشيخة البيبرسية ثم صرف عنها سنة تسعمائة وست.

وله رحلة إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور.

انقطع في آخر حياته بمنزله بالروضة وترك الفتيا والتدريس فكتب بسبب ذلك «التنفيس في ترك الفتيا والتدريس»، وأثناء انقطاعه عن الناس كان الأمراء والأعيان يأتون إليه لزيارته ويقدمون إليه الهدايا النفيسة فيردها.

وأهدى إليه الغوري خصياً وألف دينار فرد الألف وأخذ الخصي

فأعتقه وجعله خادماً في الحجرة النبوية وقال لقاصد السلطان: لا تعد تأتينا قط بهدية فإن الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك.

وكان لا يتردد إلى السلطان ولا إلى غيره وطلبه مراراً فلم يحضر إليه وألف في ذلك «ما رواه الأساطين في عدم التردد على السلاطين».

ومن نظمه:

أيها السائل قوماً ما لهم في الخير مذهب
اترك الناس جميعاً وإلى ربك فارغب

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة في منزله بالروضة بالقاهرة بعد مرض دام معه سبعة أيام، وكان له مشهد عظيم وصلي عليه عقب صلاة الجمعة بالروضة ودفن في حوش قوصون خارج باب القرافة رحمه الله وأثابه رضاه.

ترجم لنفسه في حسن المحاضرة (١/١٥٥ - ١٦١)، وترجمه السخاوي في الضوء اللامع (٤/٦٥ - ٧٠)، والعيدروس في النور السافر (ص ٥٤)، والغزي في الكواكب السائرة (١/٢٢٦)، والشوكاني في البدر الطالع (١/٣٢٨)، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/٥١)، والقنوجي في التاج المكلل (ص ٣٤٩).

وفي التحدث بنعمة الله كثير من أخباره.

١٢ ـ عبد العزيز بن فهد المكي

عبدالعزيز بن عمر نجم الدين بن محمد تقي الدين بن محمد أبي الخير بن محمد بن فهد عزالدين أبو الخير الشيخ العلامة الحافظ ابن الحافظ ابن الحافظ الهاشمي العلوي المكي الشافعي.

ولد في الثلث الأخير من ليلة السبت سادس عشر شوال سنة ٨٥٠ بمكة المكرمة.

حفظ القرآن العظيم والأربعين النووية والإرشاد لابن المقري وألفية ابن مالك والنخبة للحافظ ابن حجر، والتحفة الوردية والآجرومية وعرضها جميعاً ـ عدا الثلاثة الأولى ـ على والده وجده.

استجاز له والده من جماعة منهم الحافظ ابن حجر، وأسمعه على أبي الفتح المراغي والبرهان الزمزمي والزين السيوطي.

ولما ترعرع رحل بنفسه إلى المدينة المنورة، ثم ارتحل سنة سبعين إلى الديار المصرية فأخذ عن الشُمُني والبقاعي، وسمع بالقدس وغزة ونابلس ودمشق وصالحيتها وبعلبك وحماة وحلب وغيرها من جماعة واجتهد وتميَّز في الطلب، ثم عاد إلى بلده، ثم رجع إلى مصر بعد نحو أربع سنوات وذلك في سنة خمس وسبعين وثمانمائة، وقرأ على شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والشرف عبدالحق السنباطي في الإرشاد وعلى الحافظ السخاوي قطعة كبيرة من شرحه لألفية الحديث وجميع شرح النخبة، وحضر كثيراً من مجالس إملائه، ولما

جاور السخاوي سنة ست وثمانين أكثر المترجم من ملازمته بحيث قرأ عليه ما كان في كتب والده من تصانيف السخاوي وأكمل سماع شرحه للألفية وغيرها ورجع إلى بلده.

ثم سافر في موسم السنة التي تليها إلى دمشق وقرأ بدمشق على الزين خطاب قطعة من أول الإرشاد وكذا على المحب البصروي وكان قد أخذ عنه بمكة أيضاً. وسافر منها إلى حلب، ثم رجع إلى القاهرة، ثم عاد إلى بلده ثم عاد إلى القاهرة مرة أخرى ولازم السخاوي وحضر على شمس الجوجوي في الفقه. ثم عاد إلى بلده وأقام بها ملازماً للاشتغال، ولازم فيها عالم الحجاز البرهان ابن ظهيرة في الفقه والتفسير وأخاه الفخر والنور الفاكهي أخذ عنه المنهاج، وأخذ النحو عن أبي الوقت المرشدي والسيد السمهودي مؤرخ المدينة.

برع في الحديث وتميز فيه حتى قال عنه شيخه السخاوي: وليس بعد أبيه ببلاد الحجاز من يدانيه في الحديث وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وتولع بالتخريج والكشف والتاريخ، ووصفه بالحفظ صاحب الشذرات، وقال الغزي في الكواكب السائرة: الإمام الحافظ المتقن الرحال المفيد القدوة.

صنف عدة كتب منها:

الترغيب والاجتهاد في الباعث لذوي الهمم العلية على الجهاد، ونزهة ذوي الأحلام بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة بلد الله الحرام، وتاريخ على السنين ابتدأ فيه من سنة ٨٧٢، ومعجم شيوخه نحو ألف شيخ، وفهرست مروياته، وجزء في الحديث المسلسل بالأولية، وكتاب فيه المسلسلات التي وقعت له، ورحلة في مجلد.

توفي سنة ٩٢١ رحمه الله تعالى.

ترجمه السخاوي في الضوء اللامع (٤/٢٢٤)، والغزي في الكواكب السائرة (١/٢٣٨)، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/١٠٠)، والكتاني في فهرس الفهارس (٢/٧٥٤).

١٣ - محمّد بن يوسف الصّالحي

محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، الشيخ العلامة الحافظ الشافعي الصالحي الشامي ثم المصري صاحب السيرة الشامية. لم أقف على تاريخ ولادته.

وهو من أجل أصحاب الحافظ السيوطي، أخذ عنه وعن الشهاب القسطلاني والشيخ شاهين بن عبدالله الخلوتي المصري، وشجاع الدين عمر بن عبدالله الخلوتي المصري.

ترجمه الشعراني في الطبقات الصغرى (ص ٧٥) فقال:

كان عالماً صالحاً مفنناً في العلوم، وألف السيرة النبوية المشهورة، وأقبل الناس على كتابتها. كان أعزباً لم يتزوج قط، وإذا قدم عليه المضيف يعلق القدر ويطبخ له. كان حلو المنطق، مهيب النظر، كثير الصيام والقيام، بتُّ عنده الليالي فما كنت أراه ينام في الليل إلا قليلاً، كان إذا مات أحد من طلبة العلم وخلف أولاداً قاصرين وله وظائف، يذهب إلى القاضي ويتقرر فيها ويباشرها ويعطي معلومها للأيتام حتى يصلحوا للمباشرة. كان لا يقبل من مال الولاة وأعوانهم شيئاً ولا يأكل من طعامهم، وأخلاقه الحسنة كثيرة مشهورة بين أصحابه ورفاقه. اهـ. باختصار.

قلت: والسيرة النبوية هي المشهورة بالسيرة الشامية وهي من أفيد وأجمع ما جمعه المتأخرون في السيرة سماه «سُبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأحواله وأفعاله في

المبدأ والمعاد. جمعها من أكثر من ثلاثمائة كتاب، وخطته فيها كما صرح في الخطبة تحري الصواب ومجانبة الموضوعات[1]، وختم كل باب بإيضاح ما أشكل فيه وأضاف إليه ما احتاج من النفائس مع بيان غريب الألفاظ وضبط المشكلات والجمع بين الأحاديث، واستمد الزرقاني في شرح المواهب من السيرة الشامية كثيراً.

وله مصنفات أخرى غير السيرة الشامية منها:

تسهيل السبيل إلى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل، ذكره في آخر الباب الرابع من عقود الجمان، وكشف اللبس عن حديث رد الشمس لخصه الزرقاني في شرح المواهب، وعين الإصابة في معرفة الصحابة، والآيات العظيمة الباهرة في معراج سيد أهل الدنيا والآخرة رتبه على سبعة أبواب ثم ظفر بأشياء ألحقها وسماه «الفصل الرائق في معراج خير الخلائق»، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، وعقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان وهو الذي لخصه الفقيه ابن حجر الهيتمي في «الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان»، ومطلع النور في فضل الطور وقمع المتعدي الكفور، وله مصنفات أخرى في التفسير والنحو والبلاغة والرقائق.

توفي يوم الاثنين ١٤ شعبان سنة ٩٤٢ رحمه الله تعالى.

ترجمه الشعراني في الصغرى (ص ٧٥)، وابن العماد في الشذرات (٨/ ٢٥٠)، والسيد محمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة (ص ١٥١)، والسيد عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس (٢/ ١٠٦٢)، والزركلي في الأعلام (٧/ ١٥٥)، وكحالة في المؤلفين (١٢/ ١٣١).

---

(١) لكن وقع في سيرته ما هو متحقق الوضع فضلاً عن المنكرات والواهيات، ومن أسباب ذلك اعتماده على «الخصائص» لشيخه الحافظ السيوطي الذي صرح في مقدمته أنه صانه من الموضوع ولكنه خالف ما شرطه قطعاً.

١٤ ـ ابن طولون الدمشقي

محمد بن علي بن محمد شمس الدين أبو عبدالله الشهير بـابن طولون، العـلاّمة المحـدِّث المؤرخ ذو الفنون، الـدمشقي الصالحي الحنفي.

ولد سنة ٨٨٠ هـ بصالحية دمشق وسمع وقرأ على جماعة منهم: القـاضي ناصـرالـدين أبـو البقاء ابن زريق، والخـطيب سـراج الـدين الصيرفي، والمحدّث يـوسف بن عبدالهـادي الحنبلي، وابن النعيمي صـاحب الدَّارس، وتفقـه بعمه يـوسف بن محمد بن علي المعـروف بجمـال الدين ابن طـولـون، والشـريف كمـال الـدين ابن أبي حمـزة الحسيني، وكاتَب أعيانَ وقتِه كالحافظ جلال الدين السيوطي.

وفي كتـابه «الفلك المشحـون في أحوال ابن طـولون» أسمـاء شيوخه قراءةً وسماعاً ومكاتبةً، وأسماء الكتب التي قرأها عليهم.

قـال النجم الغزي: وكـان ماهـراً في النحو عـلاّمة في الفقـه مشهوراً بالحديث، وولي تدريس الحنفية بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر وإمامة السليمية بالصالحية، وقصده الطلبة في النحو ورغب الناس في السماع منه وكانت أوقاته معمرة بالتدريس والإفادة والتأليف، كتب بخطه كثيراً من الكتب وعلّق ستين جزءاً وسمّاها بالتعليقات، كل جزء منها مشتمل على مؤلفات كثيرة أكثرها من جمعه وبعضها لغيره ومنها

كثير من تأليفات شيخه السيوطي[1]، وكانت أوقاته معمورة كلها بالعلم والعبادة وله مشاركة في سائر العلوم. اهـ.

زادت مصنفاته على السبعمائة مصنف في شتى الفنون أكثرها في علم التاريخ فكتب: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، والتمتع بالأقران في تراجم الشيوخ والأقران، وذَيَّل على طبقات الحنفية للحافظ عبدالقادر القرشي اسمه «الغرف العليّة في ذيل الجواهر المُضية»، ومفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وقضاة الشام، وإعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، وذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر، وكَتب مشيخات وفهارس منها فهرسة في ثلاثة مجلدات وأخرى وسطى وكتب تراجم مفردة لعدد من الأعيان في السابق واللاحق[2].

ويعول عليه كثير من المؤرخين في مصنفاتهم كالغزي وابن العماد والعلموي ومحمد الكناني والسيد محمد ابن أبي بكر الشلي، وبالجملة فكل من تأخر عنه استمد منه، وأخذ عنه جماعة من الأعيان برعوا في فنونهم في حياة المترجَم له.

وكثير من كتبه المخطوطة فضلاً عن المطبوعة محفوظة بدار

---

(١) لشيخنا المحدث السيد عبدالعزيز بن الصدِّيق الغماري جزء اسمه «نظم اللآل فيما أخذه الشمسُ من كتب الجلال» يذكر فيه اسم مصنف السيوطي وأمامه اسم مصنف ابن طولون، عندي نسخة منه.

(٢) منها ترجمة يزيد بن معاوية الذي أمر بقتل الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله ﷺ، والذي أمر مسلم بن عقبة المُري أن يستبيح المدينة ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول عبيد ليزيد فإذا فرغ منها نهض إلى مكة لحرب عبدالله بن الزبير ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة وقتل بها خلقاً من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين، وأفحش القضية إلى الغاية وقد فعل جيشه القبائح بمكة ونصبوا على الكعبة المنجنيق إلى غير ذلك، وبالجملة فسيرته غير محمودة. وللحافظ أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي الحنبلي «الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد» ردّ به على عبدالمغيث بن زهير الناصبي المذكور في وفيات سنة ٥٨٣ هـ من البداية لابن كثير. ولأن كتاب ابن طولون مطبوع فوجب التنبيه.

الكتب المصرية، وما وجدته يتكلم على الحديث بما يفيد ويشفي على طريقة الحفاظ، لكن وصفه بالحفظ النجم الغزي في الكواكب السائرة (١٣٦/٣)، وهو قريب عهد من حياته وأخذ عن تلاميذه، والكواكب السائرة طافحة بالنقل عنه فهو أعرف به و ألصق، أضف إليه أن النجم الغزي كان له أنس بهذا العلم الشريف بحيث يقبل قوله في مثل هذا، واللكنوي له الفوائد البهية يصف الغزي بالمعرفة بل بالغ فيه.

ووصفه بالحفظ السيد محمد بن جعفر الكتاني في نظم المتناثر (ص ٤).

ويكثر الشيخ محمد زاهد الكوثري من النقل عنه والوصف بالحفظ ملازم له، انظر تعاليقه على ذيول الحفاظ (ص ١٧، ٢٣، ٨٨، ١٣٤، ٢٥٨).

وقال شيخنا السيد عبدالله بن الصديق في رتب الحفظ عند المحدثين:

وكان صديقنا العلامة المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي يصف ابن طولون الحنفي بالحافظ، وناقشته في ذلك فقال: إن مروياته كثيرة، وهذه مغالطة، لأن كثرة المرويات إنما تعتبر في الحفاظ بشرط أن تكون مسموعة له، ومرويات المتأخرين كابن طولون إنما هي بالإجازة والغرض منها بقاء سلسلة الإسناد والتبرك برجال السلسلة. اهـ. سبيل التوفيق (ص ١٧٤).

توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة **٩٥٣** هـ.

ترجمه الغزي في الكواكب السائرة (٢/ ٥٢ - ٥٤)، وابن العماد في شذرات الذهب (٨/ ٢٩٢)، والكتاني في فهرس الفهارس (١/ ٤٧٢)، وأفرد لنفسه ترجمة مطبوعة باسم «الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون».

١٥ - محمد بن علاء الدين البابلي

أبو عبدالله شمس الدين محمد بن علاءالدين، الشيخ العلامة الحافظ الرحلة الزاهد البابلي القاهري الشافعي.

ولد في قرية بابل من أعمال المنوفية سنة ١٠٠٠، وقدم به أبوه إلى القاهرة وهو دون أربع سنين وحمل إلى الفقيه الشمس الرملي، ودخل في عموم إجازته.

ظهرت نباهته ونجابته وهو صغير فما وقع نظره على شيء إلا حفظه، وعد من محفوظاته: القرآن بالروايات والشاطبية والبهجة في الفقه الشافعي وألفية العراقي في أصول الحديث، وألفية ابن مالك وجمع الجوامع ومتن التلخيص وغيرها.

وكتب بخطه كتباً كثيرة منها فتح الباري للحافظ ابن حجر.

قرأ العلوم في الأزهر على نورالدين الزيادي، وعلي الحلبي، وعبدالرؤوف المناوي، وأبي النجا سالم السنهوري، ومحمد بن حجازي الواعظ، وإبراهيم اللقاني، وصالح البلقيني، ويوسف الزرقاني وغيرهم الكثير.

واستوعب مشايخه تلميذه عيسى بن محمد المغربي في الفهرسة التي أخرجها للمترجم وسماها «منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد».

قال المحبي في خلاصة الأثر (٤/٤٠): وأما حاله في إلقاء

العلوم ونشر مطارف المنثور منها والمنظوم فكان فارس ميدانها، كلما أقرأ فناً من الفنون ظن السامعون أنه لا يحسن غيره، وقد حج مرات وجاور بمكة عشر سنين وأخذ عنه جماعات لا يحصون. اهـ. باختصار.

وقد أفرد السيد مرتضى الزبيدي الآخذين عنه في جزء سماه «المربي الكاملي فيمن أخذ عن البابلي».

ومع تبحره في العلوم لم يعتن بالتصنيف فليس له إلا كتاب «الجهاد وفضائله» ألجىء إلى تأليفه.

اتفق أعيان شهوده على وصفه بالحفظ، قال المحبي: الحافظ الرحلة أحد الأعلام في الحديث والفقه، وهو أحفظ أهل عصره لمتون الأحاديث وأعرفهم بجرحها ورجالها وصحيحها وسقيمها، وكان شيوخه وأقرانه يعترفون له بذلك. اهـ.

ولا تجد الزرقاني والزبيدي يذكرانه إلا ووصف الحفظ ملازم لاسمه والأول من الأيقاظ في علم الحديث، والثاني مترجم في هذا الكتاب.

وحصل له مرض في عينيه أذهب بصره قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة، وكان إذا قرأ له أحد حثه على الإسراع في القراءة بحيث إن السامع لا يفهم ما يقرأه القارىء.

وكان كثير العبادة يواظب على قراءة القرآن العظيم سراً وجهراً، وكان ورده في كل يوم وليلة نصف القرآن، وفي يوم الجمعة يختم ختمة كاملة، وكان كثير البكاء ويعفو عند الاقتدار ومجلسه عليه الوقار ولا يخلو من حكايات وفوائد ونكات، وبالجملة له خلق سهل رضي.

توفي في يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٠٧٧ رحمه الله تعالى رحمة الأبرار.

ترجمه المحبي في خلاصة الأثر (٤/ ٣٩)، والشوكاني في البدر الطالع (٢/ ٢٠٨)، والكتاني في فهرس الفهارس (١/ ٢١٠)، والزركلي في الأعلام (٦/ ٢٧٠).

وأفرد ترجمته السيد مرتضى الزبيدي في «الفجر البابلي في ترجمة البابلي».

١٦ ـ عبدالله بن سالم البصري

عبدالله بن محمد بن سالم البصري الشيخ العلامة الحافظ المكي الشافعي.

ولد بمكة المكرمة سنة ١٠٤٩، وطلب العلم بها على أكابر علماء الحرمين كالشيخ عبدالله بن سعيد باقشير الحضرمي المكي، والسيد أحمد بن أبي بكر الشلي العلوي التريمي، والسيد عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس العلوي، والشيخ عبدالعزيز الزمزمي المكي، وإماما المقام زين العابدين وعلي ابنا عبدالقادر الطبريين، وعيسى الثعالبي الجعفري المالكي وغيرهم.

وأخذ عن جماعة من غير أهل الحرمين من أجلّهم الحافظ محمد بن علاءالدين البابلي وغالب أخذه عنه، وله مشايخ آخرون كثيرون بالسماع والإجازة وتفصيل مشايخه ومقروءاته جمعها ولد المترجم له سالم بن عبدالله بن سالم البصري في كتاب مستقل مطبوع سماه «الإمداد بمعرفة علو الإسناد» وهو من أشهر الأثبات المتداولة.

اتفق أصحاب الفهارس والأثبات الذين تأخروا عنه بوصفه بالحافظ، ومنهم من له معرفة بالحديث كالسيد مرتضى الزبيدي، والشيخ عابد السندي المدني، وبالغ بعضهم فقال: هو أمير المؤمنين في الحديث. والعهدة عليهم في وصفه بالحفظ والأمر راجع إليهم فإني رأيت الأجزاء التي جمعها في ختم الكتب الستة بمكتبة الحرم

المكي الشريف وكذا رسالة أوائل كتب السنة المطبوعة وليس فيها ما يدل على حفظه.

ترجمه المحدث عابد السندي فقال: وأما إمام الحديث والمقدم في عصره الشيخ عبدالله بن سالم البصري فهو إمام عصره، إلى أن قال: جمع في علم الحديث بين الرواية والدراية، وبلغ من التحقيق إلى أكمل غاية، وصنف التصانيف الفائقة، وقرأ في المسجد الحرام عدة كتب، من جملتها البخاري ومسلم والسنن الأربع، وقرأ البخاري أيضاً بتمامه في جوف الكعبة الشريفة مرتين، وقرأ مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى جميعه في الروضة الشريفة في ستة وخمسين مجلساً سنة ألف ومائة وإحدى وثلاثين.

ومن مناقبه: تصحيحه للكتب الستة ونسخته هي التي يرجع إليها في جميع الأقطار وأعظمها صحيح البخاري، وجمع مسند الإمام أحمد بعد أن فرقته الأيدي وصححه، ورأيت بمصر في خزانة الشيخ محمد بن محمد الأمير المالكي نسخة من مسند الإمام أحمد بخط المترجم مصححة، وجمع من تفسير الكتب ما لا يوجد عند غيره مع اجتهاد تام في العبادة وقيام الليل وتلاوة القرآن. انتهى كلام عابد السندي باختصار.

أخذ عنه كثيرون من أعيان عصره منهم:

الشيخ محمد بن حياة السندي والشيخ محمد بن طاهر الكوراني، والشيخ علاءالدين المزجاجي الزبيدي، والسيد محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، والسيد يحيى بن عمر مقبول الأهدل، والشهاب أحمد المنيني الدمشقي وهم يصفونه بالحفظ في إجازاتهم وتقييداتهم .

له من التآليف: شرح على البخاري مات ولم يكمله، وأجزاء كل جزء في ختم كل كتاب من الكتب الستة وموطأ الإمام مالك ورسالة الأوائل الشهيرة المتداولة.

توفي بمكة المكرمة في رجب الفرد سنة **١١٣٤** رحمه الله تعالى.

ترجمه الشيخ عبدالله مرداد المكي في نشر النور والزهر المختصر (٢/٢٤٦)، والسيد عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس (ص ٧٥٠).

١٧ـ أبو العلاء العراقي الفاسي

إدريس بن محمد بن إدريس بن حمدون بن عبدالرحمٰن أبو العلاء الشريف الحافظ العراقي الحسيني الفاسي المغربي.

ولد سنة ١١٢٠ تقريباً، أخذ عن شيوخ فاس كوالده، والشيخ علي بن أحمد الحريشي، والشيخ أحمد بن سليمان الأندلسي الفاسي، والشيخ محمد بن عبدالسلام بناني، والشيخ أحمد بن مبارك اللمطي، والشيخ محمد مياره الأصغر، والشيخ محمد بن قاسم جسوس شارح الشمائل سمع عليه من كتب الحديث الشيء الكثير.

وأجاز له غالب علماء فاس في عصره، وكان رحمه الله تعالى ممن غلب عليه الاشتغال بالحديث منذ أيام الطلب.

قال في نشر المثاني (كما في الإعلام بمن حل بمراكش وأغْمَات من الأعلام ١٧/٣): ولم يكن له في حال قراءته اعتناء ببعض العلوم نحو النحو والبيان والمنطق، ومع ذلك كان إذا سرد كتاباً لا يلحن في شيء منه، بل فصيح النطق قوي الدراية على ذلك ولا ينطق بشيء غير مستقيم. اهـ.

وكان مقبلاً على الحديث إقبالاً عريباً، ومن مظاهر إقباله أنه كان يبالغ مع بعض مشايخه في تحقيق المسائل الحديثية حتى أصبح مرجعاً لهم وهو في وقت الطلب.

وذكر المترجمون له أن شيخه أحمد بن مبارك اللمطي المذكور

كان يدرس كبرى السنوسي في التوحيد، فجرى ذكر بعض الأحاديث فسأل الشيخ اللمطي صاحب الترجمة فذكر له ست طرق لأحدها.

قال عنه معاصره وقرينه السيد محمد بن الطيب القادري في نشر المثاني: كان مقبلاً على مطالعة كتب السير وعلوم الحديث، استغرق في ذلك مدة عمره، ودخل بيده من كتب الحديث الغريبة ما لم يحصل لغيره، وكان يستحضر رجال الكتب الستة والميزان ولسانه وانتهى إليه السؤال في الحديث فكان يستحضر الجواب من غير تأمل ولا مطالعة سواء كان السؤال عن حديث أو مرتبته أو عن أحوال الرجال. اهـ. بتصرف واختصار.

وصفه السيد مرتضى الزبيدي بحافظ العصر عندما ترجمه في معجمه (كما في فهرس الفهارس ص ١١٨) ثم قال: اعتنى بعلم الحديث حفظاً وضبطاً، رواية ودراية حتى مهر فيه، ودرس للطالبين وأفاد، وانتفع به كثيرون، وأقرأ الكتب الغريبة مع تحقيق وإتقان ومراعاة للفن، فلم يكن في وقته من يدانيه في هذا الفن حتى أشير عليه بالحفظ. اهـ.

ووصفه بالحفظ آخرون منهم شيخه محمد بن قاسم جسوس شارح الشمائل، والسيد محمد بن جعفر الكتاني في كتابه «الأقاويل المفصلة في بيان حال حديث الابتداء بالبسملة» (ص ٣).

ووصفه السيد أحمد بن الصديق بالمحدث المفيد في الاستعاذة والحسبلة ممن صحح حديث البسملة.

وقال السيد أحمد بن الصديق الغماري في الائتناس في تراجم فضلاء فاس (ل ١١٤): المحدث الحافظ خاتمة المحدثين بالمغرب في زمانه حفظاً واطلاعاً ورواية بحيث لم يأت في المغرب بعد الحافظ ابن القطان مثله في علم الحديث، أقر له بالتقدم فيه أهل عصره

وأكابر شيوخه وكانوا يسألونه عنه ويرجعون إليه في مسائله وهو بين يديهم في دروسهم. اهـ.

وبالغ بعض المغاربة فقالوا: هو أحفظ من الحافظ ابن حجر ومن هؤلاء المبالغين أبو حفص عمر بن عبدالله الفاسي كما في الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي للعلامة محمد بن الحسن الحجوي (٢/ ٢٩١).

صنف المترجم التصانيف الحسنة المفيدة:

منها شرح على شمائل الترمذي، وشرح الثلث الأخير من مشارق الأنوار للصغاني في مجلد كبير ضخم، وشرح إحياء الميت في فضائل آل البيت للحافظ السيوطي.

واستدرك على «الجامع الكبير» للسيوطي ما يزيد عن خمسة آلاف حديث كان يقيدها في طرة نسخته.

وله أيضاً تخريج أحاديث الشهاب للقضاعي، وتكميل مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للسيوطي، والدرر اللوامع في الكلام على أحاديث جمع الجوامع، وفتح البصير في التعريف بالرجال المخرج لهم في الجامع الكبير، واختصر الكامل في ضعفاء الرجال لأبي أحمد بن عدي الحافظ، وتاريخ بغداد للخطيب الحافظ، وجزء في حديث البسملة، وآخر في أنساب الأشراف العراقيين بالمغرب، وفهرسة فيها ذكر مشايخه وسماعه منهم وإجازتهم له وثناؤهم على تآليفه التي يعرضها عليهم. وهذه الكتب بخزانة السيد عبدالحي الكتاني الموجودة الآن بالرباط.

أخذ عنه علم الحديث جماعة منهم ولداه المحدثان عبدالله وعبدالرحمٰن، وابن عمه زيان العراقي، والسيد محمد بن أحمد الصقلي الحسيني وغيرهم.

وتوفي في شعبان سنة ١١٨٣ رحمه الله تعالى.

ترجمه السيد محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس (١/١٤١)، والسيد عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس (ص ١١٨)، والعباس بن إبراهيم المراكشي في الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام (٣/١٦)، ومحمد مخلوف في شجرة النور الزكية في تراجم المالكية (ص ٣٥٦)، ومحمد بن الحسن الحجوي في الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (٢/٢٩١)، والسيد عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس (٢/٨١٨)، وابن سودة في دليل مؤرخ المغرب (١/٨١)، والزركلي في الأعلام (١/٢٨٠)، والسيد أحمد بن الصديق في الائتناس بتراجم فضلاء فاس (ص ١١٤ - ١١٦).

١٨- مُرتضى الزَّبيدي

أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق السيد الشريف الحسيني الزبيدي الحنفي، علم الأعلام، والساحر اللاعب بالأفهام، الحافظ الجوال، اللغوي، النحوي، الأصولي، النسابة.

ولد ببلده بلجرام بالهند سنة ١١٤٥، واشتغل بالعلم على علماء بلدته، ثم سافر إلى دهلي ولازم علامة الهند ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي صاحب حجة الله البالغة.

ثم سافر إلى سورت وأخذ عن الشيخ خيرالدين بن زاهد السورتي وأقام عنده سنة.

ثم دخل اليمن وأقام بزبيد وإليها نسب، وأخذ فيها عن السيد أحمد بن محمد مقبول الأهدل ومن في طبقته كالشيخ عبدالخالق بن أبي بكر المزجاجي والشيخ محمد بن علاءالدين المزجاجي.

حج مراراً، وأخذ عن أجلّ علماء مكة المكرمة، ولازم السيد عبدالرحمٰن العيدروس ملازمة كلية، وهو الذي شوقه إلى مصر فذهب إليها، ودخل القاهرة في ٩ صفر الخير سنة ١١٦٧ وسكن حي الصاغة، وحضر دروس مشايخ الوقت كأحمد الملوي، وأحمد الجوهري والحنفي والبليدي والصعيدي والشبراوي والمدابغي وغيرهم من أعيان علماء الأزهر، وكلهم أجازوه وشهدوا له بالعلم والفضل وجودة الحفظ.

واتصل بشيخ السادة الوفائية السيد أبي الأنوار بن وفا فكنّاه بأبي الفيض، ومكنه من مكتبة السادة الوفائية وكان فيها نفائس الكتب في شتى الفنون. وعول عليها في شرحيه الكبيرين على الإحياء وعلى القاموس.

وكانت له عناية فائقة بالكتب، فيشتري منها كل ما يرغب فيه وينسخ بالأجرة ويستعير من الأقطار البعيدة.

وشرع في تصنيف الكتاب الذي شاع ذكره في الآفاق «تاج العروس شرح القاموس» وفيه فوائد حديثية مستعذبة ولطائف مستغربة، لو توجه مريد الإفادة لجمع هذه الفوائد لأتى بخدمة جليلة وعند إتمامه أولم المترجم له وليمة حافلة جمع فيها طلبة العلم وأشياخ الوقت وأطلعهم عليه فشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه في شتى العلوم خاصة علم اللغة.

وبعد ذلك أقبل عليه الأكابر والأعيان ورغبوا في معاشرته لأنه كان لطيف الشكل والذات، حسن الصفات بشوشاً مستحضراً للنوادر والمناسبات ذكياً فطناً جيد الحفظ واسع الاطلاع، فاستأنس به أهل البلاد وأحبوه وصار يعطيهم ويفيدهم بفوائد ويجيزهم.

وشرع في إملاء الحديث، فكان يملي المسلسلات ويذكر النوادر والأشعار والنكات، وكل من قدم عليه يملي عليه حديث الرحمة المسلسل بالأولية ويكتب له سنده ويذكر من أخرجه. وكان الأزهريون يعجبون من ذلك لبعد عهدهم به، ومن ثم طلب منه بعض علماء الأزهر الإجازة فقال: لا بد من قراءة أوائل الكتب، واتفقوا على الاجتماع كل يوم اثنين وخميس من كل جمعة فشرع في قراءة صحيح البخاري، وبعد انتهاء القراءة كان يملي شيئاً من المسلسلات من حفظه، ويتبع ذلك بأبيات من الشعر فازداد شأنه وعظم قدره، فالتمس

الناس منه تبيين المعاني، فانتقل من الرواية إلى الدراية وعند ذلك انقطع عنه غالب العلماء الأزهرية لأن الدراية فنهم، لكنه استمر على خطته في الدرس.

وطُلب إلى الدولة العلية في سنة أربع وتسعين وكاتبه ملوك النواحي لاستجازته وكثرت عليه الوفود من كل ناحية يستجيزونه فيجيزهم.

أما مصنفاته فمنها تاج العروس شرح القاموس في عشرة مجلدات ضخام، اشتهر أمره في حياة المترجم له، وكتبت منه عدة نسخ في حياته.

ومنها «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» طبع في عشرة مجلدات ضخام. وهو مشحون بالفوائد أطال النفس فيه عند الكلام على الأحاديث وخطته فيه هي ذكر كلام الحافظ العراقي على الحديث كما في المغني ثم يزيد[1] من عنده بما يفتح الله تعالى عليه، وقد يطول كلامه على الحديث الواحد بحيث لو جمع لكان جزءاً مفرداً مفيداً فيه غرر النقول من أجزاء ومعاجم ومسانيد ومشيخات ورسائل وأمالي ومستخرجات وقف عليها في مكتبة السادة الوفائية، وجلالة قدره في الحديث وعظيم علمه تتجلى في كتابه هذا أكثر من غيره.

ومنها عقود الجواهر المنيفة في أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة فيما وافق فيه الأئمة الستة أو بعضهم في مجلدين، رتبه ترتيب كتب السنن من تقديم أبواب الإيمان في الفقهيات، واقتصر في كل باب على حديث أو أكثر حسبما تيسر له، وإذا وجد حديثاً للإمام رحمه الله

(١) وجمع الشيخ محمد الحافظ التجاني المتوفى سنة (١٣٩٨) بين تخريج العراقي وزيادات صاحب الترجمة في كتاب واحد شرع في طبعه باسم «نور اليقين بتخريج أحاديث إحياء علوم الدين».

تعالى استدل به ولم يخرج في أي من الكتب الستة لم يعرج عليه.

وله مصنفات حديثية أخرى منها:

«ألفية السند» في ألف وخمسمائة بيت وهي ممتعة للغاية وفيها يقول:

وقل أن ترى كتاباً يعتمد إلا ولي إليسه اتصال أو سند
أو عالماً إلا ولي إليه وسائط توقفني عليه

وشرح هذه الألفية في عشرة كراريس.

والقول الصحيح في مراتب التعديل والتجريح، وبذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود، والروض المؤتلف في تخريج حديث يحمل هذا العلم من كل خلف، ورفع الكلل عن العلل وهي أربعون حديثاً انتقاها من كتاب العلل للدارقطني وتكلم عليها بما يناسب الصناعة الحديثية وجزء في طبقات الحفاظ، وإنجاز وعد السائل في شرح حديث أم زرع في الشمائل في ثمانية كراريس، ولقط اللآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة، وجزء في حديث نعم الإدام الخل، والتعليقة الجليلة على مسلسلات ابن عقيلة، والابتهاج بختم صحيح مسلم بن الحجاج، وتحفة الودود في ختم سنن أبي داود، وبلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب.

وخرج بعض المعاجم لمشايخه ومشايخهم، ومعجماً كبيراً وآخر صغيراً لنفسه، وغير ذلك.

ووصفه بالحفظ مستفيض وأقر له بالفضل والتقدم أهل زمانه حتى قيل: إنه من المجددين على رأس المائة الثالثة عشرة وهو حري بذلك والله أعلم.

توفي في شعبان سنة ١٢٠٥ بعدما أصيب بالطاعون ولم يعقب رحمه الله تعالى رحمة الأبرار.

ترجمه الجبرتي في عجائب الآثار (١٠٣/٢)، والبيطار في حلية البشر (١٤٩٢/٣)، والسيد صديق حسن خان في أبجد العلوم (١٢/٣ - ٢٩)، والشبلنجي في نور الأبصار، والسيد عبدالرحمٰن بن سليمان الأهدل في النفس اليماني، والسيد عبدالحي الحسني في نزهة الخواطر (٤٨٤/٧)، والكتاني في فهرس الفهارس (٥٢٦/١)، والزركلي في الأعلام (٧٠/٧)، وأفرد ترجمته الشيخ محمد إبراهيم المصري في رسالة صغيرة سماها «الجوهر المحسوس في ترجمة صاحب شرح القاموس».

١٩ ـ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري

أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني، الشريف، الحافظ الناقد، ذو التصانيف.

ولد بالمغرب الأقصى في يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة **١٣٢٠**.

نشأ في طنجة وبها حفظ القرآن الكريم والمتون المتداولة وأخذ مبادىء العلوم. وفي سنة **١٣٣٩** سافر إلى القاهرة حيث قرأ كتب النحو المتداولة في الأزهر وشرح الباجوري على السلم، وشرح التحرير في الفقه الشافعي، ومسند الشافعي والأدب المفرد للبخاري على الشيخ محمد إمام بن إبراهيم السقا.

وقرأ على الشيخ محمد بن سالم الشرقاوي الشهير بالنجدي شيخ الشافعية مشكاة المصابيح والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع. وقرأ على الشيخ أحمد نصر العدوي المالكي شرح النووي على مسلم وبعضاً من سنن أبي داود، وحضر على الشيخ محمد السمالوطي تفسير البيضاوي وموطأ مالك، وقرأ مختصر خليل على الشيخ عبدالمقصود عبدالخالق. وقرأ صحيح البخاري بكامله والأذكار للنووي وعقود الجمان في البلاغة وبعضاً من المستدرك للحاكم والمعجم الصغير للطبراني وأكثر مسلسلات ابن عقيلة وأوائل العجلوني وغيرها على الشيخ عمر بن حمدان المحرسي وقت تواجده بالقاهرة.

وحضر على شيخ علماء مصر الشيخ محمد بخيت المطيعي الإسنوي على المنهاج الأصولي وبعضاً من صحيح البخاري وشرح الهداية للمرغناني، كما لازم دروسه في التفسير بالرواق العباسي بالأزهر. وله مشايخ آخرون جاوزوا المائة ذكرهم مع مقروءاته عليهم في المعجم الوجيز للمستجيز، والبحر العميق في مرويات ابن الصديق.

وبعد أن تضلع من العلوم انقطع في منزله واشتغل بالحديث، وشرع في هذه الأثناء في تخريج أحاديث مسند الشهاب للقضاعي الذي سماه «فتح الوهاب بتخريج أحاديث مسند الشهاب»، وتوقف أثناء التخريج في حديث وكان يعلم أن لشيخه السيد محمد بن جعفر الكتاني تخريجاً على «مسند الشهاب» فشدّ الرحلة إلى دمشق لسؤاله والأخذ عنه، وبعد أن حصل له المطلوب استجازه وسمع منه مسلسلات ابن عقيلة وقرأ عليه الأوائل العجلونية وغيرها.

وفي سنة ١٣٥٤ رجع للمغرب واستقر به يدرس كتب السنة وينشر أحكامها بين الناس ويدعو إلى التمسك بها وترك ما خالفها. وأملى مجالس حديثية في المسجد الأعظم بطنجة.

جهد المترجم له في هذا الشأن واجتهد، وحرر الرجال وانتقى وانتقد، وكتب بخطه الشيء الكثير فكان من عادته إذا وقف على جزء ينسخه، وإن لم يستطع وكان جزءاً أو كتاباً كبيراً، علق لنفسه أحاديثه المسندة كما فعل في كتابه «المؤانسة بالمرفوع من حديث المجالسة» للدينوري، ولم يكن له هم سوى التصنيف والإفادة، وتوغل في ذلك حتى صار حافظاً ناقداً.

صنف التصانيف المليحة المشتملة على فوائد شريفة تشهد كلها بتبحره وسعة نظره ودقة فكره «كالمداوي لعلل الجامع وشرحي

المناوي» في ستة مجلدات، و«الإسهاب في المستخرج على مسند الشهاب» في مجلدين ضخمين، و«عواطف اللطائف في تخريج أحاديث عوارف المعارف» في مجلدين وهو تخريج ومستخرج حيث إن صاحب عوارف المعارف يروي الحديث بسنده في أول الباب ثم يعلق باقي الأسانيد، فيستخرج المترجم على المسند ويخرج المعلق، و«هداية الرشد في تخريج أحاديث ابن رشد» طبع في ثمانية مجلدات مع بداية المجتهد، و«تسهيل سبيل المحتذي في اختصار وترتيب سنن الترمذي» في مجلدين، و«المستخرج على الشمائل المحمدية» في مجلد، و«إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» في مجلد، و«البيان والتفصيل لوصل ما في الموطأ من البلاغات والمراسيل» في مجلد، و«نيل الزلفى بتخريج أحاديث التحفة»، و«الأمالي الحسينية» في مجلد، و«التقييد النافع لمن يطالع الجامع» في مجلد.

وكتب الأجزاء المحررة منها:

«بلوغ الطالب ما يرجوه من طرق حديث اطلبوا الخير عند حسان الوجوه»، و«المسهم في ثبوت حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم»، و«الكسملة في تحقيق الحق في أحاديث الجهر بالبسملة»، و«موارد الأمان بطرق حديث الحياء من الإيمان»، و«مسامرة النديم بطرق حديث دباغ الأديم»، و«هدية الصغراء بتصحيح حديث التوسعة يوم عاشوراء»، و«المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير»، و«تعريف المطمئن بوضع حديث دعوه يئن»، و«الاستعاذة والحسبلة ممن صحح حديث البسملة»، و«الإشراف بتخريج الأربعين المسلسلة بالأشراف»، و«إظهار ما كان خفياً من بطلان حديث لو كان العلم بالثريا»، و«فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي»، و«درء الضعف عن حديث من عشق فعف»، و«الرغائب في

طرق حديث ليبلغ الشاهد منكم الغائب»، و«زجر من يؤمن بتواتر حديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، و«تنوير الحلبوب بتكفير ما تقدم وما تأخر من الذنوب»، و«شهود العيان بثبوت حديث رفع عن أمتي الخطأ والنسيان»، وغير ذلك.

وله مصنفات لم تكمل منها:

تذكرة الرواة وهو كتاب حافل على طريقة تقريب التهذيب للحافظ إلا أنه عام في جميع الرواة إلى القرن السادس، و«الموضوعات» كتب منه مجلداً، و«الإلمام بطرق المتواتر من حديثه عليه السلام» تم منه مجلد ضخم ولم يقتصر فيه على المتواتر فقط، بل ذكر كل ما قيل بتواتره مبيناً الصواب فيه، و«حصول التفريج بأصول العزو والتخريج»، وكتاب «ليس كذلك» وهو خاص بالاستدراك على الحفاظ المتقدمين، و«مجمع فضلاء البشر من أهل القرن الثالث عشر»، وغير ذلك من المصنفات في الحديث والرجال، وله تقييدات وأجوبة على مسائل وغير ذلك.

وكان رحمه الله تعالى شهاباً ثاقباً على الكفار وأعوانهم من العصريين فقام بثورتين ضد الأسبان الأولى سنة ١٣٥٥ فور عودته من مصر والثانية سنة ١٣٦٩، وفي الثانية حكم عليه بالسجن مدة ثلاث سنوات ونصف مع غرامة مالية، وفي سجنه كتب بعض مصنفاته كالمغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير، وجؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار، والبحر العميق في مرويات ابن الصديق.

وفي سنة ١٣٧٧ غادر المغرب إلى القاهرة وتوفي بها في فاتح جمادى الآخرة سنة ١٣٨٠ عليه من الله الرحمة والرضوان.

وهو مستحق للوصف بالحفظ وقد وصفه بذلك جمع من أعيان

شهوده من ذوي الخبرة بالحديث وعلومه، فقد اشتهر بالطلب والأخذ من أفواه الرجال، وكان على معرفة بالجرح والتعديل وبطبقات الرواة مع تمييزه لصحيح الحديث من ضعيفه، وكان حفظه للحديث قوياً، وزاد على ما سبق أمرين:

أولها: أماليه الحديثية، قال الحافظ الذهبي في الموقظة (ص ٦٧): وكان الحفاظ يعقدون مجالس الإملاء، وهذا عُدم اليوم. اهـ.

وثانيهما: كتابته المستخرجات فاستخرج على مسند الشهاب للقضاعي، وجاء المستخرج في مجلدين ضخمين، ولم يكتف بالاستخراج على المسند فقط بل يأتي بما في الباب بشرط إيراده مسنداً ليكون الكتاب كله على منوال واحد.

ووضع مستخرجاً على شمائل الترمذي فصارت في مجلد ضخم بعد أن كانت في جزء، كما استخرج على ما أسنده السهروردي في عوارف المعارف.

وما أظن أن أحداً عمل المستخرجات بعد القرن السادس. نعم ذكر أن الحافظ العراقي استخرج على المستدرك لكن لم يكمله. والله أعلم.

قال في سبيل التوفيق (ص ٥٥): السيد أحمد بن الصديق العلامة الحافظ، كان يعرف الحديث معرفة جيدة، وصنف فيه التصانيف العديدة، وانقطع له فأخرج لنا مصنفات ذكرتنا بالحفاظ المتقنين. اهـ.

ترجمه السيد سالم آل جندان باعلوي في كتابه الحافل «السامي في معجم الأسامي»، والشيخ محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني

في ثبته الكبير «بغية المريد من علوم الأسانيد»، والشيخ عبدالله بن محمد غازي الهندي المكي في «تنشيط الفؤاد من تذكار علوم الإسناد» والأستاذ عبدالحكيم هندي المصري في ذيله على كتاب «الجوهر فيمن له خمسون كتاباً أو أكثر»، والزركلي في الأعلام (١/٢٥٣)، وزكي مجاهد في السيرة الزكية وهي الجزء الرابع من الأعلام الشرقية، وشقيقيه السيد عبدالله بن الصديق في «سبيل التوفيق»، والسيد عبدالعزيز بن الصديق في تعريف المؤتسي بترجمة نفسي، وفي السفينة، وراقم هذه السطور في «تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع»، وأفرد ترجمته تلميذه السيد عبدالله التليدي في كتاب مطبوع اسمه «الأنس والرفيق في مناقب الشيخ سيدي أحمد بن الصديق».

الفهرس

الموضوع	الصفحة

التراجـــم:

٢٠ / ١١٤/٨/١٣